وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِعْلَامُ الهُدَاة

بِحَيَاةِ الأَنْبِيَاء بَعْدَ الوَفَاة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِي عَايِدْ مِقْدَادِي الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، قال تعالىٰ : ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، وقال سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١] ، وقال : ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧] ، وبعد:

فقد وردت آيات محكمة في كتاب الله تعالىٰ تنص علىٰ حياة الشهداء بعد الوفاة، بل إن القرأن ورد بالنهي عن تسمية الشهيد ميتاً، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٤] .

ولا شك أن الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام أرفع درجة، وأتم فضلاً، وأعلىٰ كرامة من كل مَنْ دونهم...

كما وردت أحاديث عديدة تنصُّ بصراحة علىٰ أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، ذكر قسماً منها الإمام البيهقي في جزء خاص سماه بـ(حياة الأنبياء بعد وفاتهم)، وكذا صنع الإمام السيوطي في جزء خاص ضمن كتابه (الحاوي للفتاوي) سماه بـ(إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء).

وقد ثبت أن الأموات –عموماً– يسمعون، ويبصرون، ويتكلمون، ويعرفون زائرهم، ويستأنسون بالحي إذا زارهم، وينعمون، ويعذبون، وهذا كله متعلق بالأرواح دون الأجساد....

فالموتىٰ إذن، يعيشون حياة حقيقية، بمعنىٰ أنها ليست خيالية أو وهمية، كما يتصورها الكفرة والملاحدة، الذين لاَ تتسع عقولهم للإيمان إلا بالمحسوس المشاهد دون الغيب.

فإذا كان هذا حال عموم الناس، فما بالك بالشهيد الحي المرزوق في قبره بنص القرآن والسنة؟!

وما بالك بالنبي الذي هو أرفع رتبة، وأعلىٰ درجة من الشهيد وغيره؟!

فالحياة التي أشارت إليها الآيات الكريمة، وكذا الأحاديث الصحيحة، حياة حقيقية راقية يحياها النبي والشهيد بالروح والجسد، ولا يعلم حقيقتها بالتفصيل إلا الله تعالىٰ، ولذلك حرّم الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تعالىٰ علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ... ولو لم تكن حياتهم بهذه الصفة لم يكن ثمة فرق بينهم وبين غيرهم...

فمن أجل تقرير هذه الحقيقة، كانت هذه الرسالة التي اشتملت علىٰ كلام المحققين من علماء الأمة الذين قرّروا هذه الحقيقة، ولذلك فقد اشتمل منهج الدراسة علىٰ الآتي:

(١) الرجوع إلىٰ المصادر الأصلية التي تكلمت عن هذه المسألة.

(٢) عرض المسألة من خلال جمع أشهر الروايات مع نقل كلام العلماء عليها ومناقشتها.

وقد صدَّرت هذا الرسالة بمقدمة وذيلتها بخاتمة، وقسمت الموضوع إلىٰ ثلاثة مباحث، هي:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : مَعْنَىٰ المَوْتُ وَحَقِيْقَتُه

المَبْحَثُ الثَّانِي : مَعْنَىٰ الحَيَاةُ البَرْزَخِيَّة .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : حَيَاةُ الأَنْبِيَاءِ فِي قُبُوْرِهِم .

الخَاتِمَةُ : وفيها أهم نتائج البحث .

والله تعالىٰ أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء، والحمد لله رب العالمين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المَبْحَثُ الأَوَّلُ
مَعْنَى المَوْتُ وَحَقِيْقَتُه

الموت سيفٌ مصلتٌ على جميع الخلق لن ينجو منه أحد ممَّن كتب عليه الموت من الخلق ، قال تعالى﴿ : **كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** [آل عمران:١٨٥] ، وقال تعالى على لسان السَّحرة الذين آمنوا بربِّ موسى وهارون : **﴿قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾** [الأعراف:١٢٥] ، وعن عطاء قال: استأذن عبد الله بن عبَّاس على معاوية في مرضه لعيادته، فقال معاوية :أجلسوني أجلسوني فلم يقدر على الجلوس وبدره ابن عبَّاس بالدُّخول فقال معاوية :

وتجلُّدي للشَّامتين أريهم أنِّي لريب الدَّهر لا أتضعضع

فأجابه ابن عبَّاس:

وإذا المنيَّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

فقال معاوية : إلى هاهنا ، فقال له : إلى هاهنا ، قال: فتعال نستغفر الله ونتوب إليه ، فتصافحا وتعانقا ، فلم يجيء اليوم الثَّالث حتى مات ". انظر : ذكر شيوخ الشريف أبي الفضل ابن المهدي ، ، مخطوط .

والموت هو انتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، وبينهما يقع اختبار العبد المُكلَّف ، يعيش بعد الدَّار الثَّانية حياة أبديَّة : إمَّا مُكرَّماً في الجنَّة التي تمثِّل الحياة الحقيقيَّة الأبديَّة ...

تلكم الدَّار التي آثر الكثير من النَّاسُ الغُفُلُ عليها دار الدُّنيا التي لا تعدلُ عند الله تعالى جناح بعوضة ، قال تعالى : **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾** [الأعلى:١٦-١٧] ، ولذلك زهَّد العباد فيها ، وأرشدهم أنبياء الله إلى أنَّ الآخرة هي القرار الأبدي ، فقال سبحانه على لسان سيِّدنا موسى عليه السَّلام : **﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾** [غافر:٣٩] ...

أمَّا الدَّار الأخرى فهي النَّار التي سيستقرُّ فيها الكفرة والمشركون والمنافقون ...

وعن معنى الموت في اللغة والاصطلاح قال في ابن فارس : " (مَوَتَ) الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ. مِنْهُ الْمَوْتُ : خِلَافُ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا : أَصْلُهُ ذَهَابُ الْقُوَّةِ ، لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

مَسْجِدَنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ آكِلِيهَا فَأَمِيتُوهَا طَبْخًا " ، وَالْمَوَتَانُ : الْأَرْضُ لَمْ تُحْيَ بَعْدُ بِزَرْعٍ وَلَا إِصْلَاحٍ " . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٠١ برقم ٦٤٩٦) .

وقال ابن منظور في "لسان العرب" (٦/ ٤٢٩٤-٤٢٩٥) :" موت : الأَزهري عَنِ اللَّيْثِ : المَوْتُ خَلْقٌ مِنْ خَلق اللهِ تَعَالَى . غَيْرُهُ : المَوْتُ والمَوَتانُ ضِدُّ الْحَيَاة والمُواتُ ، بِالضَّمِّ : المَوْتُ . بُنَيَّ ، يَا سَيِّدةَ البَنَاتِ ، ... عِيشي ، وَلَا يُؤْمَنُ أَن تَماتي . وَقَالُوا : مِتَّ تَموتُ ؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ : وَلَا نَظِيرَ لَهَا مِنَ الْمُعْتَلِّ ؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ : اعْتَلَّتْ مِنْ فَعِلَ يَفْعُلُ ، وَلَمْ تُحَوَّلْ كَمَا يُحَوَّلُ، قَالَ : وَنَظِيرُهَا مِنَ الصَّحِيحِ فَضِلَ يَفْضُل ، وَلَمْ يَجِئْ عَلَى مَا كَثُر واطَّرَدَ فِي فَعِل . قَالَ كُرَاعٌ : ماتَ يَمُوتُ ، والأَصْلُ فِيهِ مَوِتَ ، بِالْكَسْرِ، يَمُوتُ ؛ وَنَظِيرُهُ : دِمْتَ تَدومُ ، إِنما هُوَ دَوِمَ ، وَالِاسْمُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ المَيْتةُ . وَرَجُلٌ مَيِّتٌ ومَيْتٌ ؛ وَقِيلَ : المَيْتُ الَّذِي ماتَ ، والمَيِّتُ والمائِتُ : الَّذِي لَمْ يَمُتْ بَعْدُ . وَحَكَى الجوهريُّ عَنِ الْفَرَّاءِ : يُقَالُ لمنْ لَمْ يَمُتْ إِنه مائِتٌ عَنْ قَلِيلٍ ، ومَيِّتٌ ، وَلَا يَقُولُونَ لِمَنْ ماتَ : هَذَا مائِتٌ . قِيلَ : وَهَذَا خطأٌ ، وإِنما مَيِّتٌ يَصْلُحُ لِما قَدْ ماتَ، ولِما سَيَمُوتُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ اللُّغَتَيْنِ عَدِيُّ بنُ الرَّعْلاء ، فَقَالَ:

لَيْسَ مَن مَاتَ فاسْتراحَ بمَيْتٍ ... إِنما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيـــاءِ
إِنما المَيْتُ مَن يَعِيشُ شَقِيّـــاً ... كاسِفاً بالُه قليلَ الرَّجـــاءِ
فأُناسٌ يُمَصَّصُونَ ثِمـــاداً ... وأُناسٌ حُلُوقُهمْ فِي المـــاءِ

فجعلَ المَيْتَ كالمَيِّتِ . وقومٌ مَوتى وأَمواتٌ ومَيِّتُون ومَيْتون .

وَقَالَ سِيبَوَيْهِ : كَانَ بابُه الْجَمْعُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ ، لأَن الْهَاءَ تَدْخُلُ فِي أُنثاه كَثِيرًا ، لكنَّ فَيْعِلًا لمَّا طابَقَ فَاعِلًا فِي العِدَّة وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ، كَسَّرُوه عَلَى مَا قَدْ يُكَسَّرُ عَلَيْهِ ، فأُعِلَّ كشاهِدٍ وأَشهاد . والقولُ فِي مَيْتٍ كَالْقَوْلِ فِي مَيِّتٍ ، لأَنه مُخَفَّفٌ مِنْهُ ، والأُنثى مَيِّتة ومَيْتَة ومَيْتٌ، وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَافَقَ الْمُذَكَّرَ، كَمَا وَافَقَهُ فِي بَعْضِ مَا مَضى، قَالَ: كأَنه كُسِّرَ مَيْتٌ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً**﴾ ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ مَيْتاً لأَن مَعْنَى الْبَلْدَةِ وَالْبَلَدِ وَاحِدٌ؛ وَقَدْ أَماتَه اللهُ. التَّهْذِيبُ: قَالَ أَهل التَّصْرِيفِ مَيِّتٌ، كأَنَّ تصحيحَه مَيْوِتٌ عَلَى فَيْعِل، ثُمَّ أَدغموا الْوَاوَ فِي الْيَاءِ، قَالَ: فَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَقِيلَ إِن كَانَ كَمَا قُلْتُمْ، فَيَنْبَغِي أَن يَكُونَ مَيِّتٌ عَلَى فَعِّلٍ، فَقَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَن قِيَاسَهُ هَذَا، وَلَكِنَّا تَرَكْنَا فِيهِ القياسَ مَخافَة الِاشْتِبَاهِ، فَرَدَدْنَاهُ إِلى لَفْظِ فَيْعِلٍ، لأَن مَيِّت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عَلَىٰ لَفْظِ فَيعِل. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنما كَانَ فِي الأَصل مَوْيِت، مِثْل سَيِّد سَوْيِد، فأَدغمنا الْيَاءَ فِي الْوَاوِ، وَنَقَلْنَاهُ فَقُلْنَا مَيِّت. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ مَيْت، وَلَمْ يَقُولُوا مَيِّتٌ، لأَن أَبنية ذَوَاتِ الْعِلَّةِ تُخَالِفُ أَبنية السَّالِمِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: المَيْتُ المَيِّتُ بِالتَّشْدِيدِ، إِلَّا أَنه يُخَفَّفُ، يُقَالُ: مَيْتٌ ومَيِّتٌ، وَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ والمؤَنث؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾، وَلَمْ يَقُلْ مَيِّتةً؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾؛ إِنما مَعْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعلم، أَسباب الْمَوْتِ، إِذ لَوْ جاءَه الموتُ نفسُه لماتَ بِهِ لَا مَحالَة. وموتٌ مائتٌ، كَقَوْلِكَ ليلٌ لائلٌ؛ يؤْخذ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مَا يُؤَكَّدُ بِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: " كَانَ شِعارُنا يَا مَنْصُورُ: أَمِتْ أَمِتْ ".

وقال الإمام الجرجاني في " التَّعريفات " (ص٢٣٢): " الموت: صفة وجوديَّة خُلقت ضدَّاً للحياة، وباصطلاح أهل الحقّ: قمع هوىٰ النَّفس، فمن مات عن هواه فقد حَيَىٰ بهداه".

و " الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنَّما هو انقطاع تعلُّق الرُّوح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدُّل حال وانتقال من دار إلىٰ دار ". انظر: كتاب التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (١/ ١١١-١١٢)

والموت حتمٌ لازمٌ ضروري، لا مناص منه ولا انفكاك عنه، فهو حاصل وواقع لا محالة، ولا يسع المؤمن إلَّا أن يؤمن به، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ * وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وروىٰ البخاري(٩/ ١١٧ برقم ٧٣٨٣) بسنده عن ابن عبَّاس، رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: " أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ".

قال العيني في " عمدة القاري "(٢٥/ ٩٠): " قَوْله: الْجِنّ وَالْإِنْس يموتون استدلت بِهِ طَائِفَة علىٰ أَن الْمَلَائِكَة لَا تَمُوت. وَلَا يَصح هَذَا الِاسْتِدْلَال لِأَنَّهُ مَفْهُوم لقب وَلَا اعْتِبَار بِهِ فيعارضه مَا هُوَ أقوىٰ مِنْهُ، وَهُوَ عُمُوم قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيء هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٨٨].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وللموت أجلٌ محدود ، لا يتقدَّم ولا يتأخَّر ، قال تعالىٰ : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] ، قال الإمام ابن عطيَّة : " والحقّ مذهب أهل السُّنَّة أنَّ كلّ أحد إنَّما هو بأجل واحد لا يتأخَّر عنه ولا يتقدَّم " .

وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٤] . قال الإمام الطَّبري في تفسير الآية : يعني تعالىٰ ذكره بذلك: وما يموت محمَّد ولا غيره من خلق الله إلَّا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له، وأذن له بالموت، فحينئذ يموت. فأمَّا قبل ذلك، فلن يموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال " .

وقال الإمام البغوي في "التَّفسير" (١/ ٥١) : ﴿كِتاباً مُؤَجَّلًا﴾ أَيْ : كَتَبَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ علىٰ تقديمه وتأخيره " .

وقال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٩/ ٢١) : " الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ الْمُؤَجَّلِ الْكِتَابُ الْمُشْتَمِلُ عَلَىٰ الْآجَالِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ لِلْقَلَمِ «اكْتُبْ فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" . أخرجه أحمد في المسند بلفظ قريب من هذا اللفظ (٣٧/ ٣٨١ برقم ٢٢٧٠٧) .

وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ الْحَوَادِثِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَعْلُومَةً لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَجَمِيعَ حَوَادِثِ هَذَا الْعَالَمِ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْأَجَلِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَكْتُوبَةً فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ " .

وقال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (٤/ ٢٢٦-٢٢٧) : " مَعْنَىٰ﴿مُؤَجَّلًا﴾ إِلَىٰ أَجَلٍ. وَمَعْنَىٰ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. وَ﴿كِتاباً﴾ نُصِبَ عَلَىٰ الْمَصْدَرِ، أَيْ كَتَبَ اللَّهُ كِتَابًا مُؤَجَّلًا. وأجل الموت هو الوقت الذي فِي مَعْلُومِهِ سُبْحَانَهُ، أَنَّ رُوحَ الْحَيِّ تُفَارِقُ جَسَدَهُ، وَمَتَىٰ قُتِلَ الْعَبْدُ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَجَلُهُ. وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَوْ لَمْ يُقْتَلْ لَعَاشَ. وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿تاباً مُؤَجَّلًا﴾ ، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] ، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] .

وقال الإمام القرطبي– أيضاً – في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٥٠) : " رُوِيَ: أَنَّ الْمَأْمُونَ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فَمَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ إِلَىٰ ابْنِ السِّمَاكِ أَنْ يَعِظَهُ فَقَالَ: إِذَا كَانَتِ الْأَنْفَاسُ بِالْعَدَدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَدَدٌ فَمَا أَسْرَعَ مَا تَنْفَدُ. وَقِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ:

حَيَاتُكَ أَنْفَـــاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا ... مَضَىٰ نَفَسٌ مِنْـكَ انْتَقَصْتَ بِهِ جُزْءَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

يُمِيتُكَ مَا يُحْيِيكَ فِي كُلِّ لَيْلَـــةٍ وَيَحْدُوكَ حَـــادٍ مَا يُرِيدُ بِهِ الْهُزْءَا

وقال تعالىٰ : ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة:٦٠] ... والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة ...

وروىٰ مسلم (٤/ ٢٠٥٠ برقم ٢٦٦٣) بسنده عن عبد الله بن مسعود ، قال : قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ " .

والحديث نصٌّ صريحٌ في أنَّ الأعمار مقدَّرة بأجل لا يعلمه إلَّا الله وحده ، وأنَّها لا تزيد علىٰ الحقيقة ولا تنقص عمَّا علمه الله تعالىٰ في الأزل ، وأنَّ الخلق لا يموتون إلَّا بحسب العلم الأزلي ، وبالطَّريقة التي قدَّرها الله تعالىٰ أزلاً ... ثمَّ ينتقل الإنسان بالموت إلىٰ عالم القبر أو عالم البرزخ كما سمَّاه القرآن العظيم....

قال ابن منظور في " لسان العرب" (٥/٦٨-٦٩) : " القَبْرُ: مَدْفَنُ الإِنسان، وَجَمْعُهُ قُبُور، والمَقْبُرُ الْمَصْدَرُ. والمَقْبرَة، بِفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا: مَوْضِعُ القُبُور. قَالَ سِيبَوَيْهِ: المَقْبُرة لَيْسَ عَلَىٰ الْفِعْلِ وَلَكِنَّهُ اسْمٌ. اللَّيْثُ: والمَقْبُرُ أَيضاً مَوْضِعُ الْقَبْرِ، وَهُوَ المَقْبَريّ والمَقْبُرِيّ. الْجَوْهَرِيُّ: المَقْبَرَة والمَقْبُرة وَاحِدَةُ الْمَقَابِرِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ المَقْبُرُ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ الحَنَفيّ:

أَزُورُ وأَعْتادُ القُبورَ، وَلَا أَرَىٰ سِوَىٰ رَمْسِ أَعجازٍ عَلَيْهِ رُكُودُ

لكلِّ أُناسٍ مَقْبُرٌ بِفِنائِـــهم فهمْ يَنْقُصُونَ، والقُبُورُ تَزِيـــدُ

قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: قَوْلُ الْجَوْهَرِيُّ: وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ المَقْبُرُ، يَقْتَضِي أَنه مِنَ الشَّاذِّ، قَالَ: وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ قِيَاسٌ فِي اسْمِ الْمَكَانِ مِنْ قَبَرَ يَقْبُرُ المَقْبُرُ، ومن خرج يَخْرُجُ المَخْرَج، ومن دَخَلَ يَدْخُلُ المَدْخَل، وَهُوَ قِيَاسٌ مطَّرد لَمْ يَشِذَّ مِنْهُ غيرُ الأَلفاظِ الْمَعْرُوفَةِ مِثْلَ المَبِيتِ والمَسْقِطِ والمَطْلِع والمَشْرِقِ والمَغْرِب وَنَحْوِهَا. والفِناء: مَا حَوْلَ الدَّارِ، قَالَ: وَهَمْزَتُهُ مُنْقَلِبَةٌ عَنْ وَاوٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ شَجَرَةٌ فَنْواء أَي وَاسِعَةُ الْفِنَاءِ لِكَثْرَةِ أَغصانها. وَفِي الْحَدِيثِ: " نَهَىٰ عَنْ الصَّلَاةِ فِي المَقْبُرَة " ؛ هِيَ مَوْضِعُ دَفْنِ الْمَوْتَىٰ، وَتُضَمُّ بَاؤُهَا وَتُفْتَحُ، وإِنَّما نَهَىٰ عَنْهَا لِاخْتِلَاطِ تُرَابِهَا بِصَدِيدِ الْمَوْتَىٰ وَنَجَاسَاتِهِمْ، فإِن صَلَّىٰ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ مِنْهَا صَحَّتْ صَلَاتُهُ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: " لَا تَجْعَلُوا بيوتكم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

مَقابر " (أخرجه مسلم (١/ ٥٣٩ برقم ٧٨٠) ، أَي لَا تَجْعَلُوهَا لَكُمْ كَالْقُبُورِ لَا تُصَلُّونَ فِيهَا ، لأَنَّ الْعَبْدَ إِذا مَاتَ وَصَارَ فِي قَبْرِهِ لَمْ يُصَلّ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ فِيهِ: " اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا " (أخرجه مسلم (١/ ٥٣٨ برقم ٧٧٧) ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لا تجعلوها كالمقابر لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهَا، قَالَ: والأَول الْوَجْهُ. وقَبَره يَقْبِره ويَقْبُره: دَفَنَهُ .

وأَقْبره: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا. وأَقْبَرَ إِذا أَمر إِنساناً بِحَفْرِ قَبْرٍ. قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِلْحَجَّاجِ وَكَانَ قَتَلَ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَقْبِرْنا صَالِحًا أَي ائْذَنْ لَنَا فِي أَن نَقْبره، فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمُوهُ. الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس:٢١] ، أَي جَعَلَهُ مَقْبُورًا مِمَّنْ يُقْبَرُ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّنْ يُلْقَىٰ لِلطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ وَلَا مِمَّنْ يُلْقَىٰ فِي النَّوَاوِيسِ، كَانَ الْقَبْرُ مِمَّا أُكرم بِهِ الْمُسْلِمُ، وَفِي الصِّحَاحِ: مِمَّا أُكرم بِهِ بَنُو آدَمَ، وَلَمْ يَقُلْ فقبَره لأَن الْقَابِرَ هُوَ الدَّافِنُ بِيَدِهِ، والمُقْبِرُ هُوَ اللَّهُ لأَنه صَيَّرَهُ ذَا قَبْر، وَلَيْسَ فِعْلُهُ كَفِعْلِ الْآدَمِيِّ. والإِقْبار: أَن يُهَيِّئَ لَهُ قَبْرًا أَو يُنْزِلَهُ مَنْزِله. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَن الدَّجَّالَ وُلِدَ مَقْبُورًا ، ، قَالَ أَبو الْعَبَّاسِ: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ وُلِدَ مَقْبُورًا أَن أُمه وَضَعَتْهُ وَعَلَيْهِ جِلْدَةٌ مُصْمَتة لَيْسَ فِيهَا شَقٌّ وَلَا نَقْبٌ، فَقَالَتْ قَابِلَتُهُ: هَذِهِ سِلْعة وَلَيْسَ وَلَدًا، فَقَالَتْ أُمه: بَلْ فِيهَا وَلَدٌ وَهُوَ مَقْبُورٌ فِيهَا، فَشَقُّوا عَنْهُ فاستهلَّ. وأَقْبره: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُوارَىٰ فِيهِ وَيُدْفَنُ فِيهِ. وأَقبرته: أَمرت بأَن يُقْبَر. وأَقْبَر القومَ قتيلَهم: أَعطاهم إِياه يَقْبُرونه " .

أمَّا البرزخ فهو في لغة العرب : الحاجز بين الشَّيئين ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان:٥٣] ، أي : حاجزاً . قال الإمام ابن منظور في " لسان العرب" (١/ ١٩٣) : " البَرْزَخُ: مَا بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ، وَفِي الصِّحَاحِ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. والبَرْزَخُ: مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَبْلَ الْحَشْرِ مِنْ وَقْتِ الْمَوْتِ إِلىٰ الْبَعْثِ ، فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ البَرْزَخَ. وَفِي حَدِيثِ الْمَبْعَثِ عَنْ أَبي سَعِيدٍ: فِي بَرْزَخٍ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ: البَرْزَخُ مَا بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ مِنْ حَاجِزٍ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠] ؛ قَالَ: البَرْزَخُ مِنْ يَوْمِ يَمُوتُ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُ ... قَالَ الْكِسَائِيُّ: ... والبَرْزَخ مَا بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَيِّتِ: هُوَ فِي بَرْزخ لأَنه بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيانِ﴾ [الرحمن:٢٠] ؛ يَعْنِي حَاجِزًا مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَقِيلَ : أَي حَاجِزٌ خَفِيٌّ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ [الفرقان:٥٣] ، : أَي : حَاجِزًا " . وانظر : التعريفات (ص٤٩) .

فالبرزخ هو الدَّار التي تعقب دار الدُّنيا وتستمرُّ حتى البعث من القبور ، إذ الدُّور ثلاثة : دار الدُّنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، فإذا مات الإنسان انتقل إلى دار البرزخ ، وفيه يمكثُ الإنسان حتى ينفخ في الصُّور للنُّشور ، قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٠-١٠٠] .

والموت هو من أعظم الشَّدائد والمصائب التي تنزل بالإنسان ، قال الإمام ابن رجب : " وَأَعْظَمُ الشَّدَائِدِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا الْمَوْتُ، وَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَصِيرُ الْعَبْدِ إِلَى خَيْرٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ فِي حَالِ الصِّحَّةِ بِالتَّقْوَى وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر: ١٨ - ١٩]

.

فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَرَخَائِهِ، وَاسْتَعَدَّ حِينَئِذٍ لِلِقَاءِ اللَّهِ بِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ، ذَكَرَهُ اللَّهُ عِنْدَ هَذِهِ الشَّدَائِدِ، فَكَانَ مَعَهُ فِيهَا، وَلَطَفَ بِهِ، وَأَعَانَهُ، وَتَوَلَّاهُ، وَثَبَّتَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَلَقِيَهُ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَمَنْ نَسِيَ اللَّهَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَرَخَائِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِدَّ حِينَئِذٍ لِلِقَائِهِ، نَسِيَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الشَّدَائِدِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَهْمَلَهُ فَإِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْمُؤْمِنِ الْمُسْتَعِدِّ لَهُ، أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ، فَأَحَبَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَالْفَاجِرُ بِعَكْسِ ذَلِكَ، وَحِينَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَبْشِرُ بِمَا قَدَّمَهُ مِمَّا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ، وَيَنْدَمُ الْمُفَرِّطُ، وَيَقُولُ: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] .

ومن السُّنَّة أن يقف الإنسان عند القبر بعد الدَّفن ... فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حِينَ فَرَغَ مِنْهُ ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَقَالَ : " إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ نَزَلَ بِكَ خَيْرَ مَنْزُولٍ بِهِ ، جَافِي الْأَرْضَ عَنْ جَنْبَيْهِ ، وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَرُوحِهِ ، وَاقْبَلْهُ مِنْكَ بِقَبُولِ حَسَنٍ ، وَثَبِّتْ عِنْدَ السَّائِلِ مَنْطِقَهُ" . أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢٩٦ برقم ٢٣١٢) ، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٢٠١) .

وروىٰ مسلم(١/ ١١٢ برقم ١٢١) بسنده عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ ، قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ ، يَبْكِي طَوِيلاً ... وفيه : " فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ ، وَلَا نَارٌ ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنّاً ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا ، حَتَّىٰ أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي " .

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : " اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ" . أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٥ برقم ٣٢٢١) ، أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٧٥ برقم ٧٧٣) ، الزهد (ص١٢٩) ، البيهقي في " إثبات عذاب القبر وسُؤالُ الملكين" (ص١٢٤ برقم ٢١٢) تحقيق : شرف القضاة، دار الفرقان عمان الأردن ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، الدعوات الكبير (٢/ ٢٩٤ برقم ٦٣٦) ، السنن الصغير (٢/ ٢٩ برقم ١١٢٢)

قال الحكيم الترمذي : " الوقوف علىٰ الْقَبْر وسؤال التَّثبيت لِلْمُؤمنِ فِي وَقت دَفنه ، مددٌ للْمَيت بعد الصَّلَاة ، لِأَنَّ الصَّلَاة بِجَمَاعَة الْمُؤمنِينَ كالعسكر لَهُ قد اجْتَمعُوا بِبَاب الْملك فيشفعون لَهُ ، وَالْوُقُوف علىٰ الْقَبْر لسؤال التَّثبيت مدد الْعَسْكَر ، وَتلك سَاعَة شغل الْمُؤمن ، لِأَنَّهُ يستقبله هول المطلع ، وسؤال ، وفتنة فتَّاني الْقَبْر مُنكر وَنَكِير " . انظر : نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلىٰ الله عليه وسلم (٣/ ٢٢٦) .

ولقد جاءت الأدلَّة تترىٰ تُرغِّب الإنسان بالإكثار من ذكر الموت ، لأنَّ المؤمن يعلم يقيناً أنَّه بموته ينتقل من دار دنيا فانية إلىٰ دار أبديَّة خالدة دائمة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَعَهُ عَلَيْهِ وَلَا ذَكَرَهُ وهو في سعة إلا ضيقه عليه" . أخرجه ابن حبان في الصحيح (٧/ ٢٦٠ برقم ٢٩٩٣) ، قال الأرنؤوط : " إسناده حسن. عبد العزيز بن مسلم: هو القسملي. وأخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" "٦٦٨" من طريق أبي يعلىٰ، بهذا الإسناد. وأخرجه "٦٧٠" من طريق عيسىٰ بن إبراهيم، عن عبد العزيز بن مسلم، به" .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَكْثِرُوا ذِكْرَ هاذم اللذَّات الموت " . أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٧ بر قم ٧٩٠٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) ، ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٥ برقم ٣٥٤٦٧) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٩٣ برقم ٧٩١٢) ، الترمذي (٤/ ١٢٩ برقم ٢٣٠٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) ، ابن حبان (٢/ ٣٧٩ برقم١٩٦٣) ، الطبراني في الأوسط (٦/ ٥٦ برقم ٥٧٨٠) ، البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٩٨ برقم ٨٢٦) ، ابن المبارك في الزهد (ص ٣٧ برقم ١٤٥) ، ابن ماجه (٢/ ١٤٢٢ برقم ٤٢٥٨) .

قال القرطبي في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (١/ ١٢٢ فما بعدها) : " قوله عليه السَّلام : " أكثروا ذكر هادم اللذات الموت " كلام مختصر وجيز ، قد جمع التَّذكرة ، وأبلغ في الموعظة ، فإنَّ من ذكر الموت حقيقة ذِكره ، نغَّصَ عليه لذَّته الحاضرة ، ومنعه من تمنيها في المستقبل ، وزهَّده فيما كان منها يؤمّل ، ولكن النُّفوس الرَّاكدة ، والقلوب الغافلة ، تحتاج إلىٰ تطويل الوعَّاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلَّا ففي قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " أكثروا ذكر هادم اللذَّات " مع قوله تعالىٰ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] ما يكفي السَّامع له ، ويشغل النَّاظر فيه ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب كثيراً ما يتمثَّل بهذه الأبيات:

لا شيء ممَّا ترىٰ تبقىٰ بشاشته ... يبقىٰ الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرِّياح له ... والإنس والجنّ فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزَّتها ... من كلِّ أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أنَّ ذكر الموت يُورث استشعار الانزعاج عن هذه الدَّار الفانية ، والتَّوجُّه في كلِّ لحظة إلىٰ الدَّار الآخرة الباقية ، ثم إنَّ الإنسان لا ينفكُّ عن حالتي ضيق وسعة ، ونعمة ومحنة ، فإنَّ كان في حال ضيق ومحنة ، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنَّه لا يدوم ، والموت أصعب منه ، أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها ، والسُّكون إليها ، لقطعه عنها ، ولقد أحسن من قال:

أذكر الموت هادم اللذَّات ... وتجهَّز لمصرع سوف يأتي

وقال آخر:

واذكر الموت تجد راحة ... في إدِّكار الموت تقصير الأمل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وأجمعت الأمَّة على أَنَّ الموت ليس له سنٌّ معلوم ، ولا زمن معلوم ، ولا مرض معلوم ، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعدَّاً لذلك . وكان بعض الصَّالحين ينادي بليل على سور المدينة : الرَّحيل ، الرَّحيل ، فلمَّا توفِّي فقدَ صوته أمير المدينة فسأل عنه ، فقيل : إنَّه قد مات ، فقال:

ما زال يلهج بالرَّحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمَّال
فأصـــــابه متيقِّظاً متشمِّراً ذا أُهبة لم تلهه الآمـال

وكان يزيد الرّقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يتَّرضى عنك ربّك الموت ؟ ثمَّ يقول : أيُّها النَّاس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم ؟ مَن الموتُ طالبه ، والقبر بيته ، والتُّراب فراشه ، والدُّود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، كيف يكون حاله ؟ ثمَّ يبكي حتى يسقط مغشيَّاً عليه.

وقال التَّيمي : شيئان قطعا عنِّي لذَّة الدُّنيا : ذكر الموت ، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت ، والقيامة ، والآخرة ، فيبكون حتى كأنَّ بين أيديهم جنازة.

وقال أبو نعيم : كان الثَّوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيَّاماً ، فإن سئل عن شيء قال : لا أدري لا أدري ....

وقال الدقَّاق : مَنْ أكثرَ من ذكر الموت ، أُكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التَّوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسي الموت ، عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التَّوبة ، وترك الرِّضى بالكفاف ، والتَّكاسل في العبادة ، فتفكَّر يا مغرور في الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا للموت من وعدٍ ما أصدقه ، ومن حاكمٍ ما أعدله ، كفى بالموت مقرِّحاً للقلوب ، ومبكياً للعيُون ، ومفرِّقاً للجماعات ، وهادماً للذَّات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكَّرت يا ابن آدم في يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصَّاحب والرَّفيق ، وهجرك الأخ والصَّديق ، وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر ، وغطُّوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر ، فيا جامع المال ، والمجتهد في البنيان ليس لك والله من مال إلَّا الأكفان ، بل هي والله للخراب والذَّهاب ، وجسمك للتُّراب والمآب . فأين الذي جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلَّا بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك " .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال المباركفوري في " تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي " (٦/ ٤٨٩) : " قَوْلُهُ : " أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ " بِالذَّال الْمُعْجَمَةِ أَيْ قَاطِعَهَا . قَالَ مَيْرَكُ : صَحَّحَ الطِّيبِيُّ بِالدَّال الْمُهْمَلَةِ حَيْثُ قَالَ : شَبَّهَ اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ ثُمَّ زَوَالَهَا بِبِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ يَنْهَدِمُ بِصَدَمَاتٍ هَائِلَةٍ ثُمَّ أَمَرَ الْمُنْهَمِكَ فِيهَا بِذِكْرِ الْهَادِمِ لِئَلَّا يستمر على الرُّكون إليها ، ويشتغل عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ " .

وقال الصَّنعاني في "سبل السَّلام" (١/ ٤٦٤) : " والْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ أَعْظَمِ الْمَوَاعِظِ وَهُوَ الْمَوْتُ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فَائِدَةَ الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَهُ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّلَهُ وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَمَا مِنْ عَبْدٍ أَكْثَرَ ذِكْرَهُ إِلَّا أَحْيَا اللَّهُ قَلْبَهُ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ» وَفِي لَفْظٍ لِابْنِ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيِّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ وَلَا فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا» وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ ابْنِ لَالٍ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ «أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّ ذَلِكَ تَمْحِيصٌ لِلذُّنُوبِ وَتَزْهِيدٌ فِي الدُّنْيَا» وَعِنْدَ الْبَزَّارِ «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ وَلَا فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا» وَعَنْ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يَمْحَقُ الذُّنُوبَ وَيُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الْغِنَى هَدَمَهُ، وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الْفَقْرِ أَرْضَاكُمْ بِعَيْشِكُمْ" . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٦٠) .

وَأَنْشَدَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ:

فَيا عَامِرَ الدُّنْيَا وَيَا سَاعِيًا لَهَا ... وَيَا آمِنًا مِنْ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ

أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ غَفَلْتَ ... فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ غَـامِرُ

تُخَـاطِرُ

اهـ كَلَامُهُ.

لَكِنْ قَال الْإِسْنَوِيُّ فِي الْمَهَمَّاتِ: الْهَاذِمُ بِالذَّال الْمُعْجَمَةِ، هُوَ الْقَاطِعُ كَمَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَقَدْ صَرَّحَ السُّهَيْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأُنُفِ بِأَنَّ الرَّاوِيَةَ بِالذَّال الْمُعْجَمَةِ ذُكِرَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَتْلِ وَحْشِيٍّ لِحَمْزَةَ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وَقَالَ الشَّيْخُ الْجَزَرِيُّ: هَادِمٌ يُرْوَىٰ بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ: دَافِعُهَا أَوْ مُخَرِّبُهَا وَبِالْمُعْجَمَةِ أَيْ: قَاطِعُهَا، وَاخْتَارَ بَعْضٌ مِنْ مَشَايِخِنَا وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُصَحِّحِ الْخِطَابَ غَيْرُهُ وَجَعَلَ الْأَوَّلَ مِنْ غَلَطِ الرُّوَاةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(الْمَوْتِ) بِالْجَرِّ عَطْفُ بَيَانٍ، وَبِالرَّفْعِ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ هُوَ هُوَ، وَبِالنَّصْبِ عَلَىٰ تَقْدِيرِ أَعْنِي يَعْنِي اذْكُرُوهُ وَلَا تَنْسَوْهُ حَتَّىٰ لَا تَغْفُلُوا عَنِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَتْرُكُوا تَهْيِئَةَ زَادِ الْآخِرَةِ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ) وَزَادَ: فَإِنَّهُ لَا يُذْكَرُ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّلَهُ وَلَا فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَهُ. (وَابْنُ مَاجَهْ) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، زَادَ: فَإِنَّ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسِعَهُ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سِعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ. ذَكَرَهُ مِيرَكُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَيْضًا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ وَأَحْزَمُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: " أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَاسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ" .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ، يَقُولُ : " إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" .

أخرجه البخاري (٨/ ٨٩ برقم ٦٤١٦) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٤ برقم ٤٧٦٤) ، الزهد (ص٩ برقم ٤٢) ، ابن ماجه (٢/ ١٣٧٨ برقم ٤١١٤) ، الترمذي (٤/ ١٤٥ برقم ٢٣٣٣) ، ابن حبان (٢/ ٤٧١ برقم ٦٩٨) ، الطبراني في الصغير (٢/ ٥٩ برقم ٦٣) ، مسند الشاميين (١/ ١٠٩ برقم ١٦٥) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٣٧٣ برقم ٦٤٤) ، البيهقي في الكبرىٰ (٣/ ٥١٦ برقم ٦٥١٢) ، شعب الإيمان (٧/ ٢٦٢ برقم ١٠٢٤٥) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٤٣١ برقم ٤٠٣٠) ، هناد بن السري في الزهد (١/ ٢٨٨ برقم ٥٠٠) ، الحكيم الترمذي في النوادر (١/ ٥٩٥ برقم ٦٧٧) .

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " ، قُلْتُ: إِنَّا لَنَسْتَحِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: " لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ ، وَلْيَذْكُرِ الْمَـــوْتَ وَالْبِلَىٰ ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٣١ برقم ٣٤٣) ، الترمذي (٤/ ٢١٨ برقم ٢٤٥٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ) ، البزار (٥/ ٣٩١ برقم ٢٠٢٥) ،البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٣٤ برقم ٤٠٣٣) ، البيهقي في الآداب (ص ٣٣٧ برقم ٨٣٦) ، محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٩ برقم ٤٥٠) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَنَّهُ قَالَ : كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا ، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى ، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغْلًا" .

انظر : الزهد (ص١٤٥ ، برقم ٩٨٤).

وروى أمامة عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان نقش خاتم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أسطر : محمَّد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر ، وكان نقش خاتم أبي بكر رضي الله تعالى عنه : نعم القادر الله، وكان نقش خاتم عمر رضي الله تعالى عنه : كفى بالموت واعظاً يا عمر ، وكان نقش خاتم عثمان رضي الله تعالى عنه : لتصبرنَّ أو لتندمنَّ ، وكان نقش خاتم علي رضي الله تعالى عنه : الملك لله ، وكان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز : أغز غزوة تجادل عنك يوم القيامة. انظر : بستان العارفين (ص٣٧٩) .

يَا من يمشي على ظُهُور الْحفر ، وَيرى السَّابِقين إِلَى بيُوت الْمدر ، لَو أصغى سمع التَّدْبِير سمع العبر ، كفى بِالْمَوْتِ واعظا يَا عمر.

لأبي الْعَتَاهِيَة:

وعظتك أجداث ضمت ... ونعتك أزمنة خفت

وتكلَّمت عَن أعظم ... تبلى وَعَن صور شتت

وأرتك قبرك فِي ... وَأَنت حَيّ لم تمت

الْقُبُور

يَا سادراً فِي سكر سروره ، يَا سادلاً ثوب غروره ، كَأَنَّك بك قد اقتعدت غارب الغربة ، واستبدلت بالأثواب التُّربة ، سيقسم مَالك من لَا يحمدك ، وستقدم على من لَا يعذرك ، غَداً يرجع الحبيبان عَنْك ، حَبِيبك من أهلك يقسم حَبِيبك من مَالك ، وَأَنت فِي قفْر الْفقر إِلَى مَا أسلفت تبْكي على مَا خلفت بَين أنَاس ، كلهم أَسِير الْفرق ، وجميعهم على مهاد القلق.

محلّة سفر كَانَ آخر زادهم ... إِلَيْهِ مَتَاع من حنوط وَمن خرق

إِلَى منزل سوى البلى بَين أَهله ... فَلم تستبن فِيهِ الْمُلُوك من السُّوق

إِلَى مَتى تبقى بدائك ؟!! أَهَذا الَّذِي تَفْعَلهُ برائك ، لقد حلّ فناؤك بفنائك ، وَأخبر انْتِقَاض بنائك بنمائك ، وَأَن وَرَاءَك طَالبا لَا تفوته" . انظر : المدهش ، ابن الجوزي (ص٢١٦) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قال ابن رجب : قال بعض السَّلف : شيئان قطعا عنِّي لذاذة الدُّنيا : ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ :

كيف يلذُّ العيش من كـان موقناً ... بأنَّ المنايا بغتة ستعـــــاجله
وكيف يلذُّ العيش من كـــان موقناً ... بأنَّ إله الخلق لا بدَّ ســـــائله

قال أبو الدَّرداء : كفىٰ بالموت واعظاً ، وكفىٰ بالدَّهر مفرقاً ، اليوم في الدور وغداً في القبور.

أذكر الموت وداوم ذكره ... إنَّ في المـوت لذي اللبِّ عبر
وكفىٰ بالموت فاعلم ... لمن المـــوت عليه قد قُدر
واعظـــاً

غفلة الإنسان عن الموت مع أنَّه لا بدَّ له منه من العجب والموجب له طول الأمل ...

كلُّنا في غفلـــــــة والمـ ... ـــــــوت يغدو ويروح
لبنىٰ الدُّنيـــا من المـ ... ـوت غبوق وصبـــــــوح
يصير المرء يومـــــــاً ... جسداً ما فيـــــــه روح
بين عينـــي كلّ حيّ ... علم المـــــــوت يلوح
نُح علىٰ نفســـــك يا ... مسكين إن كنت تنـــــوح
لتمـوتنَّ ولو عمَّـــــــ ... ـرت ما عمَّر نـــــــوح

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنْهَمِكَ فِي الدُّنْيَا ، الْمُكِبَّ عَلَىٰ غُرُورِهَا ، الْمُحِبَّ لِشَهَوَاتِهَا ، يَغْفُلُ قَلْبُهُ لَا مَحَالَةَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَلَا يَذْكُرُهُ، وَإِذَا ذُكِّرَ بِهِ كَرِهَهُ وَنَفَرَ مِنْهُ، أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الْجُمُعَةِ: ٨] . ثُمَّ النَّاسُ إِمَّا مُنْهَمِكٌ وَإِمَّا تَائِبٌ مُبْتَدِئٌ وَإِمَّا عَارِفٌ مُنْتَهٍ.أَمَّا الْمُنْهَمِكُ فَلَا يَذْكُرُ الْمَوْتَ، وَإِنْ ذَكَرَهُ فَيَذْكُرُهُ لِلتَّأَسُّفِ عَلَىٰ دُنْيَاهُ وَيَشْتَغِلُ بِمَذِمَّتِهِ، وَهَذَا يَزِيدُهُ ذِكْرُ الْمَوْتِ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا. وَأَمَّا التَّائِبُ فَإِنَّهُ يُكْثِرُ مَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ لِيَنْبَعِثَ بِهِ مِنْ قَلْبِهِ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ فَيَفِيَ بِتَمَامِ التَّوْبَةِ.

وَأَمَّا الْعَارِفُ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ الْمَوْتَ دَائِمًا لِأَنَّهُ مَوْعِدٌ لِلِقَائِهِ لِحَبِيبِهِ، وَالْمُحِبُّ لَا يَنْسَىٰ قَطُّ مَوْعِدَ لِقَاءِ الْحَبِيبِ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

ثُمَّ إِنَّ أَنجَعَ طَرِيقٍ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ أَنْ يُكْثِرَ ذِكْرَ أَشْكَالِهِ وَأَقْرَانِهِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُ، فَيَتَذَكَّرَ مَوْتَهُمْ وَمَصَارِعَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ، وَيَتَذَكَّرَ صُوَرَهُمْ فِي مَنَاصِبِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَيَتَأَمَّلَ كَيْفَ مَحَا التُّرَابُ الْآنَ حُسْنَ صُوَرِهِمْ وَكَيْفَ تَبَدَّدَتْ أَجْزَاؤُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ وَخَلَتْ مِنْهُمْ مَسَاجِدُهُمْ وَمَجَالِسُهُمْ وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ، وَأَنَّهُ مِثْلُهُمْ وَسَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَتِهِمْ. فَمُلَازَمَةُ هَذِهِ الْأَفْكَارِ مَعَ دُخُولِ الْمَقَابِرِ وَمُشَاهَدَةِ الْمَرْضَى هُوَ الَّذِي يُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي الْقَلْبِ فَيَسْتَعِدُّ لَهُ وَيَتَجَافَى عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَمَهْمَا طَابَ قَلْبُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَذَكَّرَ فِي الْحَالِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقَتِهِ.

نَظَرَ «ابن مطيع» ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى دَارِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَوْلَا الْمَوْتُ لَكُنْتُ بِكِ مَسْرُورًا، وَلَوْلَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ ضِيقِ الْقُبُورِ لَقَرَّتْ بِالدُّنْيَا أَعْيُنُنَا» ثُمَّ بَكَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى " . انظر : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص٣٢١) .

وروى أحمد والتِّرمذي عن مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا أُثْنِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «كَيْفَ ذِكْرُهُ لِلْمَوْتِ؟» قَالُوا: مَا سَمِعْنَاهُ يَذْكُرُهُ أَوْ يُكْثِرُ ذِكْرَهُ قَالَ: كَيْفَ تَرْكُهُ لِمَا يَشْتَهِي؟ قَالُوا: إِنَّهُ لَيُصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ صَاحِبُكُمْ هُنَاكَ» وَأَيْضًا قَالَ: قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ: أَلَا تَجْلِسُ؟ فَقَالَ: إِنَّ ذِكْرَ الْمَـــوْتِ إِذَا فَارَقَ قَلْبِي سَاعَةً فَسَدَ عَلَيَّ قَلْبِي. قَالَ مَالِكٌ: وَلَمْ أَرَ رَجُلًا أَظْهَرَ حُزْنًا مِنْهُ " . أخرجه أحمد في الزهد (ص ٣٢٠) ، البيهقي في كتاب الزهد الكبير (ص٢٢٠) .

وروى القضاعي بسنده عَنْ أُمِّ صُبَيَّةَ الْجُهَنِيَّةِ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَوْ تَعْلَمُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ مَا يَعْلَمُ ابْنُ آدَمَ مَا أَكَلْتُمْ سَمِينًا " . أخرجه الشهاب القضاعي في المسند (٢/ ٣١٤ برقم ١٤٣٤) ، ابن الأعرابي في المعجم (١/ ١٤٠ برقم ٢٢٤) ، أبو نعيم الأصبهاني في الطب النبوي (١/ ٣٢١ برقم ٩٠٥) .

وروى ابن المبارك بسنده عن مُعْتَمِر بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَهُوَ بِالْمَوْتِ ، فَرَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ شَيْئًا سَاءَنِي ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا الْجَزَعُ ؟ فَقَالَ : وَمَا لِي لاَ أَجْزَعُ ؟ وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي ؟ وَاللَّهِ لَوْ أَتَتْنِي الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللهِ لَلَحِقَنِي الْحَيَاءُ مِنَ اللهِ فِيمَا أَفْضَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ . انظر : الزهد (١/ ٥٣٠ برقم ١٥٠٧) .

ويروى أَنَّ عَمْرو بن الْعَاصِ رَضِي الله عَنهُ لما دنا مِنْهُ الْمَوْت دَعَا بحرسه وَرِجَاله فَلَمَّا دخلُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : هَل تغنون عني من الله شَيْئا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فافترقوا عني ، ثمَّ دَعَا بِمَاء ، فَتَوَضَّأ ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فأسبغ الْوضُوء ، ثمَّ قَالَ : احْمِلُونِي إِلَى الْمَسْجِد ، فَفَعَلُوا ، فَقَالَ : استقبلوا بِي الْقبْلَة ، فَفَعَلُوا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّك أَمرتنِي ، فعصيت ، وائتمنتني ، فخُنت ، وحدَّدت لي ، فتعديت ، اللَّهُمَّ لَا بَرِيء فأعتذر ، وَلَا قوي فأنتصر ، بل مذنب مُسْتَغْفِر ، لَا مصر ، وَلَا مستكبر ، ثمَّ قَالَ : لَا إِلَه إِلَّا أَنْت سُبْحَانَكَ إِنِّي كنت من الظَّالِمين ، فَلم يزل يُرَدِّدهَا حَتَّى مَاتَ . انظر : العاقبة في ذكر الموت (ص١٢٥-١٢٦) ، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص٣٤٥) .

ولمَّا دَنفَ "المأمون" أمر أن يُفرش له جُلٌّ وجعل يتمرَّغُ فيه ويقول: يا من لا يزول مُلْكُهُ، أرحم من قد زال مُلْكُهُ . انظر : دُرَرُ الحِكَمِ ، أبو منصور الثعالبي (ص٢٦) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٤٨١) ، العاقبة في ذكر الموت ، ابن الخراط (ص١٣٠) .

ومن المعلوم أنَّ لتذكُّر الموت وما يترتَّب عليه ، أثر كبير في استقامة الإنسان على منهج الله ، وانصرافه عن كلِّ ما من شأنه أن يحول دون ذلك ، فذكر الموت يرغِّب في الآخرة ، ويزهِّد في الدُّنيا ، ويهوِّن على المرء مصائبها ، ويمنع من التَّكالب عليها ، ويقصر الأمل في طول البقاء فيها ، ويرغِّب في البذل والعطاء ، ويدعو إلى خفض الجناح والتَّواضع ، ويحثّ على المبادرة بالتَّوبة لاستدراك ما فات. ، وهو سبيلٌ أمثل لترقيق القلوب ، والبكاء ، وعدم الغفلة...

وقد جاءت أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحثُّ على ذلك ، وتدعو إليه ، فمن ذلك : قولهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَاتِ ، الْمَوْتِ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٢٥ برقم ٣٥٤٦٧) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٩٣ برقم ٧٩١٢) ، الترمذي (٤/ ١٢٩ برقم ٢٣٠٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) ، البزار (١٣/ ٣٥٢ برقم ٦٩٨٧) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٣٧٩ برقم ١٩٦٣) ، ابن حبان في الصحيح (٧/ ٢٥٩ برقم ٢٩٩٢) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٥٧ برقم ٧٩٠٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢١٤ برقم ٤٨٣٣) ، ابن المبارك في الزهد (٢/ ٣٧ برقم ١٤٦) ، أحمد بن حنبل في الزهد (ص١٧ برقم ٨٩).

وَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اسْتَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ اللَّهُ ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ " . أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٥٦ برقم ٨٥٦٠) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا " ، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ ؟ قَالَ : " أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا ، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ " . أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٣ برقم ٤٢٥٩) ، البزار (١٢/ ٣١٥ برقم ٦١٧٥) ، الأصبهاني في الحلية (١/ ٣١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٣٥ برقم ٧٩٩٣، ٧/ ٣٥١ برقم ١٠٥٤٩ ، ١٠٥٥٠) .

وقد حملت لنا كتب التُّراث ألواناً عديدة من حرص السَّلف الصَّالح على لزوم هذا الأمر ، وكيف أنَّهم ما غاب عنهم ذكر الموت ولا التَّفكُّر فيه ، واستلهام عظاته ...فمن ذلك : " قال المروذي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت، خَنَقَتْه العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطَّعام والشَّراب، وإذا ذكرت الموت، هان على كلُّ أمر الدُّنيا، إنَّما هو طعامٌ دون طعام، ولباس دون لباس، وأيَّام قلائل " . انظر : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ٣١٠) .

وقالت صفيَّة رضي الله تعالى عنها أنَّ امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها ، فقالت : أكثري ذكر الموت يرقّ قلبك ، ففعلت فرقَّ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ". انظر : إحياء علوم الدين(٤/ ٤٥١) .

"وَقَالَ بَعضهم : من أَكثر ذكر الْمَوْت أكْرم بِثَلَاثَة أَشْيَاء : تَعْجِيل التَّوْبَة ، وقناعة الْقلب ، ونشاط الْعِبَادَة . وَمن نسي الْمَوْت ، عُوقِبَ بِثَلَاثَة أَشْيَاء : تسويف التَّوْبَة ، وَترك الرِّضَا بالكفاف ، والتكاسل فِي الْعِبَادَة " .

" وَأخرج ابْنِ أبي الدُّنْيَا عَن رَجَاء بن حَيْوَة ، قَالَ : مَا أَكثر عبد ذكر الْمَوْت إِلَّا ترك الْفَرح ، والحسد" .

"وَأخرج عَن رَجَاء بن نوح قَالَ كتب عمر بن عبد الْعَزِيز إِلَى بعض أهل بَيته أما بعد : فَإِنَّك إِن تستشعرت ذكر الْمَوْت فِي ليلك ونهارك ، بغَّض إِلَيْك كلَّ فانٍ ، وحبَّب إِلَيْك كلَّ بَاقٍ " . انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص٢٦) ، (ص٢٨) ، (ص٢٩) ، بالترتيب .

فذكر الموت يوجب التَّجافي عن دار الغرور ، ويتقاضى الاستعداد للآخرة ، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدُّنيا . انظر : إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥١) ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المَبْحَثُ الثَّانِي
مَعْنَى الحَيَاةُ البَرْزَخِيَّة

الحياة البرزخية مرحلة تلي مرحلة الحياة الدنيا، وتسبق الحياة الأخروية الأبدية، قال تعالىٰ: **﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون: ١٠٠] .

والبرزخ هو العالم المشهود بين عالم المعاني المجردة، والأجسام المادية، وهو الحائل بين الشيئين، ويعبر عنه عن عالم المثال، أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة أعني الدنيا والآخرة. انظر : التعريفات ص٤٩.

والحياة البرزخية ليست كحياتنا "بل هي حياة خاصة لائقة بهم وبالعالم الذي هم فيه، لكن لا بد أن نبين للناس أيضاً أنها ليست كحياتنا، لأن حياتنا أقل وأحقر وأضيق وأضعف.

فالإنسان فيها بين عبادة وعادة وطاعة ومعصية وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربه، وأنه تارة يكون طاهراً، وتارة يكون علىٰ ضد ذلك، وتارة يكون في المسجد، وتارة يكون في الحمام وأنه لا يدري بم يختم له؟؟ فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر رأساً علىٰ عقب فيصير من أهل النار، وبالعكس، أما في البرزخ فإنه إن كان من أهل الإيمان فإنه قد جاوز قنطرة الامتحان التي لا يثبت عندها إلا أهل السعادة، ثم إنه قد انقطع عنه التكليف وأصبح روحاً مشرقة طاهرة مفكرة سياحة سبّاحة جوّالة في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالىٰ، لا همّ، ولا حزنّ، ولا بأسّ، ولا قلقّ، لأنه لا دنياّ، ولا عقارّ، ولا ذهبّ، ولا فضةّ، فلا حسد ولا بغي ولا حقد. وإن كان غير ذلك ففي عكس ذلك " . انظر : مفاهيم يجب أن تصحح ص٢٤٨-٢٤٩.

وفي تلك الحياة تكون الأرواح فيها سامعة مبصرة، فهي حياة حقيقية، بمعنىٰ أنها ليست خيالية أو مثالية، كما يتصورها الملاحدة الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس دون الغيب ....

يقول السيد محمد بن علي المالكي:

"إن معنىٰ قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقية: أي ليست خيالية أو مثالية، كما يتصورها بعض الملاحدة ممن لا تتسع عقولهم للإيمان إلا بالمشاهد المحسوس دون الغيب الذي لا يطيق العقل البشري تصوره، ولا تسليم كيفيته لقدرة الله جل جلاله. إن وقفة تأمل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقية لا تبقي من الإشكال أدنىٰ ذرة حتىٰ عند من يقصر فهمه وذوقه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عن تعقل المعاني، فكلمة (حقيقية) ليست إلا لنفي الباطل وطرد الوهم ونفي الخيال الذي قد يقع في ذهن الإنسان المتشكك المرتاب في أحوال عالم البرزخ وعالم الآخرة وغيرهما من العوالم الأخرىٰ كالنشر والبعث، والحشر، والحساب.

وهذا المعنىٰ يدركه الإنسان العربي البسيط الذي يعرف أن كلمة (حقيقي) تعني حقيقة، وهي ما يقابل الوهم والخيال والمثال، فحقيقية أي ليست بوهمية، وهذا هو المقصود بعينه، وهذا هو مفهومنا وتصورنا لهذه القضية، ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التي تثبت بأن الميت يسمع ويحسّ ويعرف، سواء كان مؤمناً أم كافراً". انظر : مفاهيم يجب أن تصحح ص٢٤٤.

فمن ذلك حديثه ﷺ مع أهل قليب بدر من المشركين، فلما سئل عن ذلك قال: "والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" . أخرجه البخاري ص٥٧٧ برقم ٣٩٧٦، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، مسلم، ص١١٥٢ برقم ٢٨٧٥، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة.

فإذا كان المشركون بعد الموت أشدّ سماعاً من المسلمين في الحياة، فكيف يكون شأن موتىٰ المسلمين؟

أما ما ورد عن عائشة ﵂ من نفي سماع الأموات (أخرج حديث عائشة البخاري، ص٧٥٦ برقم ٣٩٨٠، ٣٩٨١، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، مسلم، ص٣٦١ برقم ٩٣٢، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه) .

فالأظهر أنها تراجعت عنه لما ثبت عندها من رواية العديد من الصحابة لأحاديث النبي ﷺ المصرحة بسماع الموتىٰ، يؤيد ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر قال: "ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة، وفيه: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، (انظر مسند أحمد ص٨٨١ برقم ٢٥٨٨٦) .

فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة". انظر : فتح الباري ٧/ ٣٠٤.

ثم إن العلماء اختلفوا في تأويل المراد بالموتىٰ الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾ [النمل: ٨٠] ، وكذلك المراد بـ(من في القبور) - إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] - فحملته عائشة علىٰ الحقيقة وجعلته أصلاً احتاجت معه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

إلى تأويل قوله ﷺ: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" وهذا قول الأكثر، وقيل هو مجاز، والمراد بالموتى، وبـ(من في القبور): الكفار، شبهوا بالموتى وهم أحياء، والمعنى: من هم في حال الموتى أو في حال من سكن القبر، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة ﷺ.

ومما يؤيد ويدعم تأويل الموتى بالكفار قوله ﷺ: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت .أخرجه البخاري، ص١٢٣٠ برقم ٦٤٠٧، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، مسلم، ص٣٠٧ برقم ٧٧٩، كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

فالنبي صلى الله عليه وسلم وصف من لا يذكر ربه بالميت...

ومن الأدلة على سماع الأموات قوله ﷺ: "إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه". أخرجه الحاكم ١/ ٥٣٥ برقم ١٤٠٣ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٣-٣٨٤، البيهقي في إثبات عذاب القبر، ص١٣٠ برقم ١٥٤، الاعتقاد، ص١٤٧.

وروى الشيخان بسندهما عن أنس مرفوعاً: "العبد إذا وضع في قبره وتُولِّي وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم..." . أخرجه البخاري، ص٢٦٠ برقم ١٣٣٨، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، مسلم، ص١١٥٠، برقم ٢٨٧٠، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي دالة بوضوح على إثبات السماع للموتى ولولا ذلك لكان خطاب الرسول لهم وكذا خطابنا إياهم وقت زيارة المقابر عبثاً، والرسول ﷺ لا يعبث، يضاف لذلك أن الأمر لا يقف عند حد السماع بل إن الميت يعرف زائره، ومغسله، ومن يدليه في قبره ... فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الميت يعرف من يحمله، ومن يغسله، ومن يدليه في قبره". أخرجه أحمد، ص٧٥١ برقم ١١٠١٠، الطبراني في الأوسط ٥/ ٣١٠ برقم ٧٤٣٨، وذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ٧٨ برقم ٤٠٧١، وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه رجل لم أجد من ترجمه.

هَلِ الْمَيِّتُ يَسْمَعُ كَلَامَ زَائِرِهِ وَيَرَى شَخْصَهُ؟ وَهَلْ تُعَادُ رُوحُهُ إِلَى جَسَدِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَمْ تَكُونُ تُرَفْرِفُ عَلَى قَبْرِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَغَيْرِهِ؟ وَهَلْ تَصِلُ إِلَيْهِ الْقِرَاءَةُ وَالصَّدَقَةُ مِنْ نَاحِلِيهِ وَغَيْرِهِمْ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْمَالِ الْمَوْرُوثِ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؟ وَهَلْ تُجْمَعُ رُوحُهُ مَعَ أَرْوَاحِ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَهُ سَوَاءٌ كَانَ مَدْفُونًا قَرِيبًا مِنْهُمْ أَوْ بَعِيدًا؟ ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فَأَجَابَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَعَمْ يَسْمَعُ الْمَيِّتُ فِي الْجُمْلَةِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ} . وَثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَنَّهُ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عتبة بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْت مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَسَمِعَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَنَّى يُجِيبُونَ وَقَدْ جُيِّفُوا فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا} ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ وَكَذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ وَقَالَ: إنَّهُمْ يَسْمَعُونَ الْآنَ مَا أَقُولُ" . وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ. وَيَقُولُ: "قُولُوا السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِين نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ" ، فَهَذَا خِطَابٌ لَهُمْ وَإِنَّمَا يُخَاطَبُ مَنْ يَسْمَعُ، وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ" . وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: {أَكْثِرُوا مِنْ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْك؟ وَقَدْ أَرَمْت - يَعْنِي صِرْت رَمِيمًا - فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ" ، وَفِي السُّنَنِ أَنَّهُ قَالَ: "إنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَائِكَةً يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ" . فَهَذِهِ النُّصُوصُ وَأَمْثَالُهَا تُبَيِّنُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ فِي الْجُمْلَةِ كَلَامَ الْحَيِّ وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ السَّمْعُ لَهُ دَائِمًا بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ وَهَذَا السَّمْعُ سَمْعُ إدْرَاكٍ لَيْسَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ وَلَا هُوَ السَّمْعُ الْمَنْفِيُّ بِقَوْلِهِ: **﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾** فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعُ الْقَبُولِ وَالِامْتِثَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْكَافِرَ كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ وَكَالْبَهَائِمِ الَّتِي تَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا تَفْقَهُ الْمَعْنَى، فَالْمَيِّتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَ الْمَعْنَى فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ إجَابَةُ الدَّاعِي وَلَا امْتِثَالُ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَإِنْ سَمِعَ الْخِطَابَ وَفَهِمَ الْمَعْنَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ " ...". انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٤/ ٣٦٢-٣٦٥ .

والأموات كما هو معلوم يعرفون زائرهم، ومن يسلم عليهم، ويردون عليهم السلام، سئل عن ذلك الإمام ابن تيمية، فأجاب: "الحمد لله، نعم قد جاءت الآثار بتلاقيهم، وتساؤلهم، وعرض أعمال الأحياء على الأموات. كما روى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال: "إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ويسألونه، فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة، هل تزوجت". الحديث.

وأما علم الميت بالحي إذا زاره، وسلم عليه، ففي حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام". قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبي ﷺ وصححه عبد الحق صاحب الأحكام. انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٤/ ٣٣١، والحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار، ١/ ٢٤٦، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، الخطيب البغدادي في تاريخه ٦/ ١٣٧، وانظر المغني للحافظ العراقي، ٢/ ١٢٢٩، وقال السيوطي في الحاوي للفتاوي ٢/ ١٧٠: رواه ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد وصححه، وبنحوه قال المناوي في فيض القدير ٥/ ٤٨٧.

وعن تلك الوقائع يقول الإمام ابن تيمية: "قد يكشف الله لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناماً، ويعلمون ذلك، ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة" . انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٤/ ٣٧٦.

وقال في موضع آخر في معرض ردّه على من كذّب بعذاب القبر: " وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ النَّائِمَ يَكُونُ نَائِمًا وَتَقْعُدُ رُوحُهُ وَتَقُومُ وَتَمْشِي وَتَذْهَبُ وَتَتَكَلَّمُ وَتَفْعَلُ أَفْعَالًا وَأُمُورًا بِبَاطِنِ بَدَنِهِ مَعَ رُوحِهِ وَيَحْصُلُ لِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ بِهَا نَعِيمٌ وَعَذَابٌ؛ مَعَ أَنَّ جَسَدَهُ مُضْطَجَعٌ؛ وَعَيْنَيْهِ مُغْمَضَةٌ وَفَمَهُ مُطْبَقٌ وَأَعْضَاءَهُ سَاكِنَةٌ وَقَدْ يَتَحَرَّكُ بَدَنُهُ لِقُوَّةِ الْحَرَكَةِ الدَّاخِلَةِ وَقَدْ يَقُومُ وَيَمْشِي وَيَتَكَلَّمُ وَيَصِيحُ لِقُوَّةِ الْأَمْرِ فِي بَاطِنِهِ؛ كَانَ هَذَا مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ أَمْرُ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ؛ فَإِنَّ رُوحَهُ تَقْعُدُ وَتَجْلِسُ وَتُسْأَلُ وَتُنَعَّمُ وَتُعَذَّبُ وَتَصِيحُ وَذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِبَدَنِهِ؛ مَعَ كَوْنِهِ مُضْطَجِعًا فِي قَبْرِهِ. وَقَدْ يَقْوَى الْأَمْرُ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ وَقَدْ يُرَى خَارِجًا مِنْ قَبْرِهِ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مُوَكَّلَةٌ بِهِ فَيَتَحَرَّكُ بَدَنُهُ وَيَمْشِي وَيَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ وَقَدْ سَمِعَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَصْوَاتَ الْمُعَذَّبِينَ فِي قُبُورِهِمْ وَقَدْ شُوهِدَ مَنْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ مُعَذَّبٌ وَمَنْ يَقْعُدُ بَدَنُهُ أَيْضًا إِذَا قَوِيَ الْأَمْرُ لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ لَازِمًا فِي حَقِّ كُلِّ مَيِّتٍ؛ كَمَا أَنَّ قُعُودَ بَدَنِ النَّائِمِ لِمَا يَرَاهُ لَيْسَ لَازِمًا لِكُلِّ نَائِمٍ بَلْ هُوَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْأَمْرِ. وَقَدْ عُرِفَ أَنَّ أَبْدَانًا كَثِيرَةً لَا يَأْكُلُهَا التُّرَابُ كَأَبْدَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ الصِّدِّيقِينَ وَشُهَدَاءِ أُحُدٍ وَغَيْرِ شُهَدَاءِ أُحُدٍ وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرَةٌ" . انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥٢٥-٥٢٦.

ثم إن الميت يعرض عليه مقعده من الجنة أو النار بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار.

روى الشيخان بسندهما عن ابن عمر مرفوعاً: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة" . أخرجه البخاري ص٢٦٨ برقم ١٣٧٩، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، مسلم، ص١١٤٩ برقم ٢٨٦٦، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

قال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي: "يجوز أن يكون هذا العرض على الروح فقط، ويجوز أن يكون عليه مع جزء من البدن، قال: والمراد بالغداة والعشي وقتهما وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء... ثم هو مخصوص بغير الشهداء لأنهم أحياء وأرواحهم تسرح في الجنة ... وفي هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وأن الروح لا تفنى بفناء الجسد، لأن العرض لا يقع إلا على حي...." . انظر : فتح الباري ٣/ ٢٤٣.

وقال الإمام النووي: "لا يمتنع أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده، وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر، وسماع النبي ﷺ صوت من يعذّب فيه، وسماع الأموات قرع نعال دافنيهم، وكلامه ﷺ لأهل القليب، وقوله ما أنتم بأسمع منهم، وسؤال الملكين الميت، وإقعادهما إياه، وجوابه لهما، والفسح له في قبره، وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي...." . انظر : صحيح مسلم شرح النووي ١٧/ ٢٠١، وانظر التذكرة ١/ ٤٢٦-٤٢٨.

فالميت يعرف زائره، ويردّ عليه السلام إذا سلم عليه، والحديث الذي ذكره الإمام ابن تيمية ذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار بسنده إلى ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ وذكره ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

ثم أورد ابن عبد البر العديد من الآثار الدالة على سماع الميت لسلام الحي ... انظر الاستذكار ٢٤٦/١.

وفي كتابه التذكرة ذكر الإمام القرطبي عدداً من الروايات الدالة على أن الميت يسمع كلام الحي ويرد عليه السلام، ثم قال بعدها: "هذه الأحاديث تشتمل على فقه عظيم وهو: جواز زيارة القبور للرجال والنساء، والسلام عليها، وردّ الميت السلام على من يسلِّم عليه...". التذكرة ١/ ١٤٤.

وجاء في صحيح مسلم: أن الميت يستأنس بالحي إذا زار قبره، فروى بسنده عن ابن شماسة المهري، قال: حضرنا عمرو ابن العاص وهو في سياقة الموت ... وفيه أنه قال لهم: فإذا دفنتموني فشنّوا عليَّ التراب شنّاً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وانظر ما أراجع به رسل ربي. أخرجه مسلم، ص٧٤، برقم ١٢١، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

وعليه، فالأرواح بعد مفارقة الأبدان حية عالمة، سامعة مبصرة، متكلمة، مستأنسة بالحي، ولذا خوطبت في الزيارة كما يخاطب الأحياء، فنقول في زيارتنا للمقابر: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ويرحم الله منا المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون". أخرجه مسلم، ص٣٧٦ برقم ٩٧٤، مطولاً، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

كما ورد أن الموتى يقرأون القرآن في قبورهم، فقد روى الترمذي عن ابن عباس ﷺ أن صحابياً ضرب خباءه، على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، وأن رسول الله ﷺ قال في ذلك هي المنجية. أخرجه الترمذي، ص٤٦٢، برقم ٢٨٩٠، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

كما أن ثواب عمل الحي يصل للأموات إذا ما أُهدي إليهم.

فقد ذهب أئمة المذاهب الإسلامية إلى أن الميت يستفيد من عمل الحي إذا ما أهدى الحي ثواب عمله إليه، كما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الأموات يسقط عنهم ما يترتب على الحقوق الدينية والدنيوية إذا ما أداها الأحياء عنهم. انظر في هذه المسألة: حاشية ابن عابدين ٢/ ٥٠٦، الفتاوى الهندية ١/ ١٦٦، التذكرة ص٦٥-٦٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/ ٤٢٣، جزء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ص١٢٦، المجموع شرح المهذب ٥/ ٣١١، روضة الطالبين ١/ ٦٥٧، مغني المحتاج ١/ ٣٦٥، نهاية المحتاج ٣/ ٣٦، المغني والشرح الكبير ٢/ ٤٢٤-٤٢٥، كشاف القناع ٢/ ١٦٥، الإنصاف للمرداوي ٢/ ٥٣٢، فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٤٢٣، إتقان الصنعة ص١١٧، صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٢٠٢، الأذكار مع شرحه لابن علان ٤/ ١٩٣-١٩٤، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٨٦، تفسير البحر المحيط ٨/ ١٦٤، تفسير الخازن ٦/ ٥٥-٥٦، تفسير ابن عطية ٦/ ٢٠٦، حاشية الشهاب على البيضاوي ٩/ ١٨، تفسير الآلوسي ١٤/ ٦٦، تفسير الرازي ٢٩/ ١٤، الروح ص١٥٤ فما بعدها، فتاوى ابن تيمية ٢٤/ ٣٠٦، كتاب انتفاع الأموات بإهداء التلاوات والصدقات وسائر القربات لإبراهيم الحنبلي، كتاب توضيح البيان لوصول ثواب القرآن للغماري.

وهذا كله تفضّل من الله تعالى، إذ طريق العدل ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ مَا سَعى﴾[النجم: ٣٩] إلا أن الله تعالى يتفضل على الأموات بما لم يجب لهم، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه تعالى.

والمراد مما سبق بيانه أن صلة الميت بالدنيا لم تنقطع بالموت، بل حبل الصلة موصول ما بين الحي والميت ... كما أن ثواب العمل الذي باشره الإنسان بنفسه دائم لا ينقطع خيره عن الميت....

ثم إن تبادل المنفعة أمر مشترك بين الحي والميت، فقد يستفيد الحي من الميت، دليل ذلك ما رواه مسلم وغيره مرفوعاً: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". أخرجه مسلم، ص٦٧٠ برقم ١٦٣١، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، الترمذي، ص٢٤٢ برقم ١٣٧٦، كتاب الأحكام، باب في الوقف، وقال: هذا حديث حسن صحيح، أبو داود ص٣٢٦ برقم ٢٨٨٠، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، النسائي، ص٣٨٨، برقم ٣٦٥١، كتاب الوصايا، باب الصدقة عن الميت، أحمد، ص٦٢٣ برقم ٨٨٣١.

فالحي ينتفع بما تركه الميت من أمور تجري منفعتها على الأحياء، كالوصية، والعلم، والصدقة، وسائر الأعمال الخيِّرة ذات النفع الدائم ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المَبْحَثُ الثَّالِثُ
حَيَاةُ الأَنْبِيَاءِ فِي قُبُوْرِهِم

قبل الكلام عن حياة الأنبياء في قبورهم ، لا بدَّ من توضيح مجموعة من الأمور التي تشكِّلُ بمجموعها جواباً شافياً كافياً شاملاً لهذه المسألة ، وهي:

أَوَّلاً : أنَّ الموت ليس بعدمٍ محضٍ ولا فناء صِرف ، قال الإمام القرطبي في "التَّذكرة" (١/ ١١١-١١٢) : " الموتُ ليس بعدمٍ محضٍ ولا فناء صِرف ، وإنَّما هو انقطاع تعلُّق الرُّوح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدُّل حالٍ وانتقال من دار إلىٰ دار ... " .

وقال الإمام الجرجاني في " التَّعريفات " (ص٢٣٢) : " الموت: صفة وجوديَّة خُلقت ضدَّاً للحياة ، وباصطلاح أهل الحقّ : قمع هوىٰ النَّفس ، فمن مات عن هواه فقد حَيِيَ بهداه " .

والموت هو انتقال من دار الدُّنيا إلىٰ دار البرزخ ، وبينهما يقع اختبار العبد المُكلَّف ، يعيش بعد الدَّار الثَّانية حياة أبديَّة : إمَّا مُكرَّماً في الجنَّة التي تمثِّل الحياة الحقيقيَّة الأبديَّة ...

تلكم الدَّار التي آثر الكثير من النَّاسُ الغُفلُ عليها دار الدُّنيا التي لا تعدلُ عند الله تعالىٰ جناح بعوضة ، قال تعالىٰ : **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [الأعلىٰ:١٦-١٧] ، ولذلك زهَّد العباد فيها ، وأرشدهم أنبياء الله إلىٰ أنَّ الآخرة هي القرار الأبدي ، فقال سبحانه علىٰ لسان سيِّدنا موسىٰ عليه السَّلام : **﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾** [غافر:٣٩] ... أمَّا الدَّار الأخرىٰ فهي النَّار التي سيستقرُّ فيها الكفرة والمشركون والمنافقون

ثَانِيَاً : وردت آياتٌ محكمةٌ في كتاب الله تعالىٰ تنصُّ علىٰ حياة الشُّهداء بعد الوفاة، بل إنَّ القرآن ورد بالنَّهي عن تسمية الشَّهيد ميتاً، كما قال تعالىٰ : **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾** [البقرة:١٥٤] ، ولا شكَّ أنَّ الرُّسل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام أرفع درجة، وأتمُّ فضلاً، وأعلىٰ كرامة من كلِّ مَنْ دونهم...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

كما وردت أحاديث عديدة تنصُّ بصراحة على أنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون... ذكر قسماً منها الإمام البيهقي في جزء خاصٍّ سمَّاه بـ(حياة الأنبياء بعد وفاتهم)، وكذا صنع الإمام السُّيوطي في جزء خاصٍّ من كتابه (الحاوي للفتاوي) سمَّاه بـ(إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء).

ثَالِثاً : مَعْنَى الحَيَاة البَرْزَخِيَّة:

ذكرنا في المبحث الثاني معنى الحياة البرزخية ، ونؤكد القول في هذا المبحث بأن الحياةُ البرزخيَّة مرحلةٌ تلي مرحلة الحياة الدُّنيا، وتسبق الحياة الأخرويَّة الأبديَّة، قال تعالى : **﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون:٩٩-١٠٠] ، و " البرزخ: هو الحائل بين الشَّيئين، ويعبر به عن عالم المثال، أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجرَّدة، أعني الدُّنيا والآخرة" . انظر : التعريفات (ص٤٥) .

وفي تلك الحياة تكون الأرواح فيها سامعة مُبْصرة، فهي حياة حقيقيَّة، بمعنى أنَّها ليست خياليَّة أو مثاليَّة، كما يتصوَّرها الملاحدة الذين لا يؤمنون إلَّا بالمحسوس دون الغيب...

فمن ذلك حديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهل قليب بدر من المشركين، فلمَّا سئل عن ذلك قال: " «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» . أخرجه البخاري (٥/ ٧٦ برقم ٣٩٧٦) ومسلم (٤/ ٢٢٠٢ برقم ٢٨٧٣).

فإذا كان المشركون بعد الموت أشدّ سماعاً من المسلمين في الحياة، فكيف يكون شأن موتى المسلمين؟!!

أمَّا ما ورد عن عائشة رضي الله عنها من نفي سماع الأموات، فالأظهر أنَّها تراجعت عنه لما ثبت عندها من رواية العديد من الصَّحابة لأحاديث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصرِّحة بسماع الموتى، يؤيِّد ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٧/ ٣٠٣-٣٠٤) ، قال: " وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ فِي الْمَغَازِي لِابْنِ إِسْحَاقَ رِوَايَةَ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَائِشَةَ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ ،وَفِيهِ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ " ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

فَكَأَنَّهَا رَجَعَتْ عَنِ الْإِنْكَارِ لِمَا ثَبَتَ عِنْدَهَا مِنْ رِوَايَةِ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ لِكَوْنِهَا لَمْ تَشْهَدِ الْقِصَّةَ . قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ : كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ مِنَ الْفَهْمِ وَالذَّكَاءِ وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالْغَوْصِ عَلَى غَوَامِضِ الْعِلْمِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، لَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّ رِوَايَةِ الثِّقَةِ إِلَّا بِنَصٍّ مِثْلِهِ ، يَدُلُّ عَلَى نَسْخِهِ أَوْ تَخْصِيصِهِ أَوِ اسْتِحَالَتِهِ ، فَكَيْفَ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الَّذِي أَنْكَرَتْهُ وَأَثْبَتَهُ غَيْرُهَا مُمْكِنٌ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : **﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾** لَا يُنَافِي قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّهُمُ الْآنَ يَسْمَعُونَ " ، لِأَنَّ الْإِسْمَاعَ هُوَ إِبْلَاغُ الصَّوْتِ مِنَ الْمُسْمِعِ فِي أُذُنِ السَّامِعِ ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَسْمَعَهُمْ بِأَنْ أَبْلَغَهُمْ صَوْتَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، وَأَمَّا جَوَابُهَا بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ ، فَإِنْ كَانَتْ سَمِعَتْ ذَلِكَ فَلَا يُنَافِي رِوَايَةَ يَسْمَعُونَ بَلْ يُؤَيِّدُهَا" .

ثمَّ إنَّ العلماء اختلفوا في تأويل " الْمُرَادِ بِالْمَوْتَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾** [النمل: ٨٠] ، وَكَذَلِكَ الْمُرَادُ بِـ **﴿مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾** ، فَحَمَلَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَجَعَلَتْهُ أَصْلًا احْتَاجَتْ مَعَهُ إِلَى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ " ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِ ، وَقِيلَ : هُوَ مَجَازٌ، وَالْمُرَادُ بِـ **﴿الْمَوْتَى﴾** وَبِـ **﴿مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾** الْكُفَّارُ شُبِّهُوا بِالْمَوْتَى وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْمَعْنَى : مَنْ هُمْ فِي حَالِ الْمَوْتَى أَوْ فِي حَالِ مَنْ سَكَنَ الْقَبْرَ ، وَعَلَى هَذَا لَا يَبْقَى فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَا نَفَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَالله أعلم " . انظر : فتح الباري (٧/ ٣٠٤) .

وممَّا يؤيِّد ويدعم تأويل الموتى بالكفَّار قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٧) بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» .

فالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف من لا يذكر ربَّه بالميِّت...

ومن الأدلَّة على سماع الأموات ما رواه البخاري (٢/ ٩٠ برقم ١٣٣٨) ، مسلم (٤/ ٢٢٠٠ برقم ٢٨٧٠) بسندهما عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ" .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي دالَّة بوضوح على إثبات السَّماع للموتى ، ولولا ذلك لكان خطاب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم وكذا خطابنا إيَّاهم وقت زيارة المقابر عبثاً، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعبث، يضاف لذلك أنَّ الأمر لا يقف عند حدِّ السَّماع ، بل إنَّ الميِّت يعرفُ زَائره، ومُغسِّله، ومن يُدليه في قبره ... فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ، وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ " . أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢٩ برقم ١٠٩٩٧) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف لإبهام راويه عن أبي سعيد، وبقية رجاله ثقات" .

والأموات كما هو معلوم يعرفون زائرهم، ومن يسلِّم عليهم، ويردُّون عليهم السَّلام، جاء في "مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٢٤/ ٣٣١) : " وَسُئِلَ: عَنْ الْأَحْيَاءِ إذَا زَارُوا الْأَمْوَاتَ هَلْ يَعْلَمُونَ بِزِيَارَتِهِمْ؟ وَهَلْ يَعْلَمُونَ بِالْمَيِّتِ إذَا مَاتَ مِنْ قَرَابَتِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ؟.

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَعَمْ قَدْ جَاءَتْ الْآثَارُ بِتَلَاقِيهِمْ وَتَسَاؤُلِهِمْ وَعَرْضِ أَعْمَالِ الْأَحْيَاءِ عَلَى الْأَمْوَاتِ، كَمَا رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: قَالَ: "إذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا الرَّحْمَةُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كَمَا يَتَلَقَّوْنَ الْبَشِيرَ فِي الدُّنْيَا فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ: أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ يَسْتَرِيحُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ. قَالَ: فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ هَلْ تَزَوَّجَتْ" الْحَدِيثَ. وَأَمَّا عِلْمُ الْمَيِّتِ بِالْحَيِّ إذَا زَارَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ" . قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَّحَهُ عَبْدُ الْحَقِّ صَاحِبُ الْأَحْكَامِ " .

وعن تلك الوقائع يقول الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى" (٢٤/ ٣٧٦) : " وَمَا ذَكَرْنَا فِي أَنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ الْخِطَابَ، وَيَصِلُ إلَيْهِمْ الثَّوَابُ، وَيُعَذَّبُونَ بِالنِّيَاحَةِ، بَلْ وَمَا لَمْ يَسْأَلْ عَنْهُ السَّائِلُ مِنْ عِقَابِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ يُكْشَفُ لِكَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ زَمَانِنَا يَقَظَةً وَمَنَامًا، وَيَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَيَتَحَقَّقُونَهُ، وَعِنْدَنَا مِنْ ذَلِكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ."

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال في موضع آخر في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٥٢٥-٥٢٦) في معرض ردِّه على من كذَّب بعذاب القبر: " وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ النَّائِمَ يَكُونُ نَائِمًا وَتَقْعُدُ رُوحُهُ وَتَقُومُ وَتَمْشِي وَتَذْهَبُ وَتَتَكَلَّمُ وَتَفْعَلُ أَفْعَالًا وَأُمُورًا بِبَاطِنِ بَدَنِهِ مَعَ رُوحِهِ وَيَحْصُلُ لِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ بِهَا نَعِيمٌ وَعَذَابٌ؛ مَعَ أَنَّ جَسَدَهُ مُضْطَجَعٌ؛ وَعَيْنَيْهِ مُغْمَضَةٌ وَفَمَهُ مُطْبَقٌ وَأَعْضَاءَهُ سَاكِنَةٌ وَقَدْ يَتَحَرَّكُ بَدَنُهُ لِقُوَّةِ الْحَرَكَةِ الدَّاخِلَةِ وَقَدْ يَقُومُ وَيَمْشِي وَيَتَكَلَّمُ وَيَصِيحُ لِقُوَّةِ الْأَمْرِ فِي بَاطِنِهِ؛ كَانَ هَذَا مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ أَمْرُ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ؛ فَإِنَّ رُوحَهُ تَقْعُدُ وَتَجْلِسُ وَتُسْأَلُ وَتُنَعَّمُ وَتُعَذَّبُ وَتَصِيحُ وَذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِبَدَنِهِ؛ مَعَ كَوْنِهِ مُضْطَجِعًا فِي قَبْرِهِ. وَقَدْ يَقْوَى الْأَمْرُ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ وَقَدْ يُرَى خَارِجًا مِنْ قَبْرِهِ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مُوَكَّلَةٌ بِهِ فَيَتَحَرَّكُ بَدَنُهُ وَيَمْشِي وَيَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ وَقَدْ سَمِعَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَصْوَاتَ الْمُعَذَّبِينَ فِي قُبُورِهِمْ وَقَدْ شُوهِدَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ مُعَذَّبٌ وَمَنْ يَقْعُدُ بَدَنُهُ أَيْضًا إذَا قَوِيَ الْأَمْرُ لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ لَازِمًا فِي حَقِّ كُلِّ مَيِّتٍ؛ كَمَا أَنَّ قُعُودَ بَدَنِ النَّائِمِ لِمَا يَرَاهُ لَيْسَ لَازِمًا لِكُلِّ نَائِمٍ بَلْ هُوَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْأَمْرِ" .

ثمَّ إنَّ الميِّت يُعرض عليه مقعده من الجنَّة أو النَّار بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنَّة فمن أهل الجنَّة، وإن كان من أهل النَّار فمن أهل النَّار.

روى البخاري (٢/ ٩٩ برقم ١٣٧٩) ، مسلم (٤/ ٢١٩٩ برقم ٢٨٦٦) بسندهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ " .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري " (٣/ ٢٤٣) : " وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَرْضُ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَعَ جُزْءٍ مِنَ الْبَدَنِ ، قَالَ : وَالْمُرَادُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ وَقْتُهُمَا وَإِلَّا فَالْمَوْتَى لَا صَبَاحَ عِنْدَهُمْ وَلَا مَسَاءَ ... ثُمَّ هُوَ مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ الشُّهَدَاءِ ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

لِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ وَأَرْوَاحُهُمْ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ ... وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَنَّ الرُّوحَ لَا تَفْنَىٰ بِفِنَاءِ الْجَسَدِ ، لِأَنَّ الْعَرْضَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَىٰ حَيٍّ" .

وقال الإمام النَّووي في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (١٧/ ٢٠١) : " ولايمتنع فِي الْعَقْلِ أَنْ يُعِيدَ اللَّهُ تَعَالَىٰ الْحَيَاةَ فِي جُزْءٍ مِنَ الْجَسَدِ وَيُعَذِّبُهُ وَإِذَا لَمْ يَمْنَعْهُ الْعَقْلُ وَوَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ وَجَبَ قَبُولُهُ وَاعْتِقَادُهُ وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ هُنَا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً فِي إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَسَمَاعِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ مَنْ يُعَذَّبُ فِيهِ وَسَمَاعِ الْمَوْتَىٰ قَرْعَ نِعَالِ دَافِنِيهِمْ وَكَلَامِهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْقَلِيبِ وَقَوْلِهُ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ الْمَيِّتَ وَإِقْعَادِهِمَا إِيَّاهُ وَجَوَابِهُ لَهُمَا وَالْفَسْحِ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَعَرْضِ مَقْعَدِهِ عَلَيْهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ" .

فالميِّت يعرف زائره، ويردُّ عليه السَّلام إذا سلَّم عليه، والحديث الذي ذكره الإمام ابن تيمية ذكره أبو عمر بن عبد البر في "الاستذكار" (١/ ٢٤٦) بسنده إلىٰ ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكره ... ثمَّ أورد ابن عبد البر العديد من الآثار الدالَّة علىٰ سماع الميِّت لسلام الحي...

وفي كتابه "التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة " (١/ ١٤٣-١٤٤) ذكر الإمام القرطبي عدداً من الرِّوايات الدالَّة علىٰ أنَّ الميِّت يسمع كلام الحي ويردُّ عليه السَّلام، ثمَّ قال بعدها: " هذه الأحاديث تشتمل علىٰ فقه عظيم وهو جواز زيارة القبور للرِّجال والنِّساء ، والسَّلام عليها ، وردِّ الميِّت السَّلام علىٰ من يسلِّم عليه."

وجاء في صحيح مسلم (١/ ١١٢ برقم ١٢١) ما يدلُّ علىٰ أنَّ الميِّت يستأنس بالحيِّ إذا زار قبره، حيث روىٰ بسنده عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَىٰ الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَىٰ أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي" .

وعليه، فالأرواح بعد مفارقة الأبدان حيَّة عالمة، سامعة مُبصرة، متكلِّمة، مستأنسة بالحيِّ، ولذا خوطبت في الزِّيارة كما يُخاطب الأحياء، فنقول في زيارتنا للمقابر: " السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ، - وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ -: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ " . أخرجه مسلم مرفوعاً (٢/ ٦٧١ برقم ٩٧٥).

كما ورد أنَّ الموتى يقرأون القرآن في قبورهم، فقد روى التِّرمذي (٥/ ١٤ برقم ٢٨٩٠ ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لاَ أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكِ حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" . والحديث رواه البزار (١١/ ٤٣٩ برقم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٥٣٠٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٧٤ برقم ١٢٨٠١) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٨١) ، البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص٩٩ برقم ١٥٠) .

كما أنَّ ثواب عمل الحي يصل للأموات إذا ما أُهدي إليهم...

فقد ذهب أئمَّة المذاهب الإسلاميَّة إلىٰ أنَّ الميِّت يستفيد من عمل الحي إذا ما أهدىٰ الحيُّ ثواب عمله إليه، كما جاء في الأحاديث الصَّحيحة أنَّ الأموات يسقط عنهم ما يترتَّب علىٰ الحقوق الدِّينيَّة والدُّنيويَّة إذا ما أدَّاها الأحياء عنهم . انظر في هذه المسألة: حاشية ابن عابدين (٢/ ٥٠٦) ، الفتاوىٰ الهندية (١/ ١٦٦) ، التذكرة (ص٦٥-٦٦) ، حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير (١/ ٤٢٣) ، جزء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (ص١٢٦) ، المجموع شرح المهذب (٥/ ٣١١) ، روضة الطالبين (١/ ٦٥٧) ، مغني المحتاج (١/ ٣٦٥) ، نهاية المحتاج (٣/ ٣٦) ، المغني والشرح الكبير (٢/ ٤٢٤-٤٢٥) ، كشاف القناع (٢/ ١٦٥) ، الإنصاف للمرداوي (٢/ ٥٣٢) ، فتاوىٰ ابن تيمية (١٤/ ٤٢٣) ، إتقان الصنعة (ص١١٧) ، صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٢٠٢) ، الأذكار مع شرحه لابن علان (٤/ ١٩٣-١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٦) ، تفسير البحر المحيط (٨/ ١٦٤) ، تفسير الخازن (٦/ ٥٥-٥٦) ، تفسير ابن عطية (٦/ ٢٠٦) ، حاشية الشهاب علىٰ البيضاوي (٩/ ١٨) ، تفسير الآلوسي (١٤/ ٦٦) ، تفسير الرازي (٢٩/ ١٤) ، الروح (ص١٥٤ فما بعدها) ، فتاوىٰ ابن تيمية (٢٤/ ٣٠٦) ، كتاب انتفاع الأموات بإهداء التلاوات والصدقات وسائر القربات لإبراهيم الحنبلي، كتاب توضيح البيان لوصول ثواب القرآن للغماري.

وهذا كلُّه تفضُّلٌ من الله تعالىٰ، إذ طريق العدل ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ مَا سَعى﴾ [النجم: ٣٩] ، إلَّا أَن الله تعالىٰ يتفضَّل علىٰ الأموات بما لم يجب لهم، كما أنَّ زيادة الأضعاف فضلٌ منه تعالىٰ.

والمراد ممَّا سبق بيانه أنَّ صلة الميِّت بالدُّنيا لم تنقطع بالموت، بل حبلُ الصِّلة موصول ما بين الحيِّ والميت ... كما أنَّ ثواب العمل الذي باشره الإنسان بنفسه دائم لا ينقطع خيره عن الميِّت....

ثمَّ إنَّ تبادل المنفعة أمرٌ مشتركٌ بين الحيِّ والميِّت، فقد يستفيد الحيُّ من الميِّت، بدليل ما رواه مسلم (٣/ ١٢٥٥ برقم ١٦٣١) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ."

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فالحيُّ ينتفع بما تركه الميِّت من أمور تجري منفعتها على الأحياء، كالوصيَّة، والعلم، والصَّدقة، وسائر الأعمال الخيِّرة ذات النَّفع الدَّائم...

وبعد ما ذكرنا من مقدمات ضرورية للكلام عن حياة الأنبياء في قبورهم ... نأتي للحديث عن **حَيَاةُ الأَنْبِيَاءِ فِي قُبُوْرِهِم** ، فنقول :

لقد تضافرت الأحاديث الدالَّة على حياته صلى الله عليه وسلم وسائر إخوانه الأنبياء والمرسلين ، منها:

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح : " الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون " . أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٢٩٩ برقم ٦٨٨٨) ، أبو يعلى في المسند (٦/ ١٤٧ برقم ٣٤٢٥) ، وصحَّحه البيهقي في " حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم " (ص٦٩ برقم ١) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١ برقم ١٣٨١٢) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ ، وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٧) : " وَقَدْ جَمَعَ الْبَيْهَقِيُّ كِتَاباً لَطِيفاً فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ ، أَوْرَدَ فِيهِ حَدِيثَ أَنَسٍ " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ " ، أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ عَنِ الْمُسْتَلِمِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمد وبن حبَان عَن الْحجَّاج الْأسود ، وَهُوَ بن أبي زِيَاد الْبَصْرِيّ ، وَقد وَثَّقَهُ أَحْمد وبن مُعِينٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ وَهُوَ وَهُمٌ ، وَالصَّوَابُ الْحَجَّاجُ الْأَسْوَدُ ، كَمَا وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَن المستلم ... " ، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٢٦) : " قَالَ السمهودي رِجَاله ثِقَات وَصَححهُ الْبَيْهَقِيّ.

فالحديث يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم ، وأنهم يصلُّون ، والصَّلاة تستدعي جسداً حيَّاً ، قال الإمام القرطبي في " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (١٩/ ١٠٤) في كلامه على حديث صلاة موسى عليه السَّلام في قبره : " ... وهذا الحديث يدلُّ بظاهره على أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى موسى رؤية حقيقيَّة في اليقظة ، وأنَّ موسى كان في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

قبره حيّاً يُصلي فيه الصلاة التي كان له يصليها في الحياة ، وهذا كله مُمكنٌ لا إحالة في شيء منه ، وقد صحَّ أنَّ الشُّهداء أحياء يرزقون ، ووجد منهم من لم يتغيَّر في قبره من السِّنين كما ذكرناه . وإذا كان هذا في الشُّهداء كان في الأنبياء أحرىٰ وأولىٰ ، فإنَّ قيل : كيف يصلُّون بعد الموت وليس تلك الحال حال تكليف ؟ فالجواب : أنَّ ذلك ليس بحكم التَّكليف ، وإنَّما ذلك بحكم الإكرام لهم والتَّشريف ، وذلك أنَّهم كانوا في الدُّنيا حبِّبت لهم عبادة الله تعالىٰ والصَّلاة ، بحيث كانوا يلازمون ذلك ، ثمَّ توفُّوا وهم علىٰ ذلك ، فشرَّفهم الله تعالىٰ بعد موتهم بأن أبقىٰ عليهم ما كانوا يحبُّون ، وما عُرفوا به ، فتكون عبادتهم إلهاميَّة كعبادة الملائكة ، لا تكليفيَّة ، وقد وقع مثل هذا لثابت البناني رضي الله عنه ؛ فإنَّه حُبِّبت الصَّلاة إليه حتىٰ كان يقول : اللهمَّ إن كنت أعطيت أحداً يصلِّي لك في قبره ، فأعطني ذلك . فرآه مُلْحِدُه ، بعدما سوَّىٰ عليه لحده قائماً يصلِّي في قبره."

وقولُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما من أحد يسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله إليَّ روحي حتىٰ أردَّ عليه السَّلام " . فإن قيل : قوله في الحديث : " إلَّا ردَّ الله عليَّ روحي حتىٰ أردّ عليه " ، دالٌّ علىٰ عدم استمرار الحياة ، فالجواب من وجوه:

الأوَّلُ : أنَّ البيهقي استدلَّ به علىٰ حياة الأنبياء ، قال : وإنَّما أراد – والله أعلم – إلا وقد ردَّ الله عليَّ روحي حتىٰ أردّ عليه.

الثَّانِي : أنَّ السُّبكي ، قال : يحتمل أن يكون ردّاً معنوياً ، وأن تكون روحه الشَّريفة مشتغلة بشهود الحضرة العليَّة والملأ الأعلىٰ عن هذا العالم ، فإذا سلَّم عليه أقبلت روحه علىٰ هذا العالم لتدارك السَّلام وترد علىٰ المسلِّم ، يعنىٰ : أنَّ ردَّ روحه الشَّريفة التفاتٌ روحاني وتنزُّلٌ إلىٰ دوائر البشريَّة من الاستغراق في الحضرة العليَّة.

الثَّالِثُ : قال بعضهم : هو خطاب علىٰ مقدار فهم المخاطبين في الخارج من الدُّنيا أنَّه لا بدَّ من عود روحه حتىٰ يسمع ويجيب ، فكأنَّه قال : أنا أجيب ذلك تمام الإجابة ، وأسمعه تمام السَّماع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

مع دلالته على ردِّ الرُّوح عند سلام أول مسلِّم ولم ، يرد أنها تُقبض ، بعد ولا قائل بتكرُّر ذلك ، إذ يفضي ذلك إلى توالي موتات لا تحصر ، مع أنَّا نعتقد ثبوت الإدراكات ، كالعلم والسَّماع لسائر الموتى فضلاً عن الأنبياء ، ونقطع بعودة الحياة لكلِّ ميِّت في قبره ، كما ثبت في السُّنَّة لأجل السُّؤال ، فيجب الإيمان به كالإيمان بنعيم القبر وعذابه ، وإدراك ذلك من الأعراض المشروطة بالحياة ، وقد يقال : لو كانوا أحياء لرأيناهم ، فنقول لهم : إنَّ الملائكة أحياء ، والشُّهداء أحياء ، والجنُّ أحياء ، ولا نراهم ، وتجوز رؤيتهم من حيث أنَّ كلَّ موجود يمكن رؤيته .

وقد ألَّف الإمام السُّيوطي رحمه الله تعالى كتاباً سمَّاه : " نور الحلك في جواز رؤية الجنِّ والملك " ، وتعرَّض فيه لجواز رؤية النَّبيِّ أيضاً ، وأورد لذلك أدلَّة ، جزاه الله خيراً " . انظر : منهج السلف في فهم النصوص (ص١٣٤-١٣٥).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" (٦/٤٨٨) : " وَمِمَّا يُشْكِلُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ ، وَوَجْهُ الْإِشْكَالِ فِيهِ أَنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ يَقْتَضِي انْفِصَالَهَا عَنْهُ وَهُوَ الْمَوْتُ . وَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ذَلِكَ بِأَجْوِبَةٍ:

أَحَدِهَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِـــهِ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي أَنَّ رَدَّ رُوحِهِ كَانَتْ سَابِقَةً عَقِبَ دَفْنِهِ لَا أَنَّهَا تُعَادُ ثُمَّ تُنْزَعُ ثُمَّ تُعَادُ.

الثَّانِي : سَلَّمْنَا لَكِنْ لَيْسَ هُوَ نَزْعَ مَوْتٍ بَلْ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ.

الثَّالِثُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِذَلِكَ.

الرَّابِعُ : الْمُرَادُ بِالرُّوحِ النُّطْقُ فَتَجُوزُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ خِطَابِنَا بِمَا نَفْهَمُهُ.

الْخَامِسُ : أَنَّهُ يَسْتَغْرِقُ فِي أُمُورِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى ، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهْمُهُ لِيُجِيبَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وَقَدِ اسْتُشْكِلَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ وَهُوَ أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ اسْتِغْرَاقَ الزَّمَانِ كُلِّهِ فِي ذَلِكَ لِاتِّصَالِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِمَّنْ لَا يُحْصَىٰ كَثْرَةً ، وَأُجِيبَ : بِأَنَّ أُمُورَ الْآخِرَةِ لَا تُدْرَكُ بِالْعَقْلِ وَأَحْوَالُ الْبَرْزَخِ أَشْبَهُ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

وقولُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " حياتي خيرٌ لكم ، تُحدثون ويُحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تُعرض عليَّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه ، وما رأيت من شرٍّ استغفرتُ لكم " . أخرجه البزار (١/ ٣٩٧) (كشف) . وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٢٧ برقم ١٤٢٥٠) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، وصحَّحه السيوطي في الخصائص (٢/ ٢٨١) ، وقال العراقي في طرح التثريب (٣/ ٢٩٧) : إسناده جيد ، ونصَّ المناوي في فيض القدير (٣/ ٤٠١) بأنه صحيح ، والملا علي القاري في شرح الشفا (١/ ١٠٢) ، وكذا عبد الله الغماري في جزء (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال) . وجاء هذا الحديث عن طريق آخر مرسلاً عن بكر بن عبد الله المزني ، وهو غاية في الصحة . وقد أفاض الأستاذ محمود سعيد ممدوح في الردِّ علىٰ تضعيف الألباني للحديث ، وبيّن أنه – أي الألباني – اتبع في تضعيفه للحديث سبيلاً لم يسبق إليه ، وتلاعب تلاعباً يُعاب عليه ، وبما لا مزيد عليه ، ومما قاله في ذلك بعد أن ذكر طرق الحديث : أما تضعيفه للحديث فاتبع سبيلاً لم يسبق إليه كما صرح هو بذلك في ضعيفته (٢/ ٤٠٥) ، فإنه أضاف للحديث حديثاً آخر رواه جمع من الثقات ، وجعل حديث (حياتي خيرٌ لكم ...) زيادة علىٰ الحديث الأوَّل ، انفرد بها عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فحكم علىٰ الحديث الثَّاني بالشُّذوذ لمخالفة عبد المجيد للثِّقات الذين رووا الحديث الأوَّل...!! وذلك أنَّ الحافظ البزَّار قال في مسنده : حدَّثنا يوسف بن موسىٰ ، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن السَّائب ، عن زاذان ، عن عبد الله ، عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " إنَّ لله ملائكة سيَّاحين يبلغوني عن أمَّتي السَّلام " . قال : وقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " حياتي خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم ... " الحديث . فالحديث الأوَّل : رواه عن سفيان جمع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

من الثِّقات . والحديث الثَّاني : انفرد به عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد ، فلمَّا جعلهما الألباني حديثاً واحداً حكم على الثَّاني بالشُّذوذ ، ولم يعده حديثاً مستقلاً بل زيادة ، وهذا خطأ بيِّن ! . ذلك أنَّ المدقِّق لا بدَّ أن يعلم أنَّ هذين حديثين بسند واحد أخرجهما البزَّار كما ترى سعياً للاختصار ، وعدم تكرار الإسناد ، وهو ما يكثر حدوثه في كتب الحديث ، حيث يذكرون سنداً واحداً لعدَّة متون ، وهو ظاهر لا يحتاج لشرح وبيان ، وقد أصاب الحافظ السُّيوطي فجعل في جامعيه : الصَّغير والكبير الحديث الأوَّل في مكان ، والحديث الثَّاني في مكان آخر ، وهذا من شفوف نظره ، وثاقب فهمه ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم.

ولكي تروق للألباني دعوته صرَّح بأنَّ عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد متكلَّم فيه من قِبَل حفظه ، وهو وإن وثَّقه بعضهم لكن ضعَّفه آخرون ، وبيَّن بعضهم السَّبب (كذا) في ضعيفته (٢/ ٤٠٤) ، فكلامه يرشح بضعف الرجل . ولأنَّ الرجل ثقة ، ومن رجال الصحيح ، فقد رأيت أنَّ هذا مقام الذب عنه وبيان ثقته . فقد وثقه ابن معين ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن شاهين ، والخليلي . ورجل يوثِّقه هؤلاء ، ويكثر مسلم من الاحتجاج به في صحيحه يكون قد جاوز القنطرة ، ويكون ما جاء فيه من الجرح مردوداً عند التأمُّل والنَّظر الصَّحيح الموافق لقواعد الحديث . فمن تكلَّم فيه فلأسباب:

١ .بسبب مذهبه ، فإنه كان مرجئاً ، وهذا لا يضرُّ في الرواية كما هو مقرَّر في محلِّه ، وقد قال الحافظ الذَّهبي في الميزان بعد ذكر عبد المجيد بن عبد العزيز في جماعة من الثِّقات المرجئين ما نصّه : الإرجاء مذهب لعدَّة من جلَّة العلماء لا ينبغي التَّحامل عليه به . أهـ.

٢ .كونه أخطأ في أحاديث ، فإنَّه روى حديث الأعمال بالنيَّات من طريق مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً . هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٤٢) ، والقضاعي في مسند الشِّهاب (فتح الوهاب ١/ ١٦) ، وأبو يعلي الخليلي في الإرشاد (١/ ٢٣٣) . والمحفوظ هو عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمَّد بن إبراهيم التَّيمي ، عن علقمة ، عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

عمر به مرفوعاً ، هكذا أخرجه الجماعة . ولذا عُدّ هذا الحديث ممَّا أخطأ فيه عبد المجيد فكان ماذا ؟ فمن ذا الذي ما غلط في حديث بل في أحاديث ؟ فإذا وقفت على ترجمة ابن عدي لعبد المجيد بن أبي روّاد في الكامل (٥/ ١٩٨٢) ، فتذكَّر قول الذَّهبي في الموقظة (ص٧٨) : وليس من حدّ الثِّقة أنَّه لا يغلط ، ولا يخطئ ، فمن الذي يسلم من ذلك ؟ غير المعصوم الذي لا يقر على خطأ ؟ وقد نبَّه الذَّهبي على هذا المعنى عدَّة مرَّات في ميزان الاعتدال . والحاصل أنَّ وجود بعض الوهم في حديث عبد المجيد بن أبي روّاد لا يخرجه عن حدِّ الثِّقة ، لا سيَّما وأنَّه كان حافظاً مكثراً وكثيراً ما يقع من المكثرين مثل ذلك . وقد وصفه الذَّهبي بالحفظ والصِّدق ، فقال في النُّبلاء (٩/ ٤٣٤) : العالم القدوة الحافظ الصَّادق . أهـ.

٣.من تكلّم فيه بجرح غير مفسَّر كقول أبي حاتم الرَّازي – وتشدّده معروف ومشهور – (لا يحتجّ به ، يعتبر به) ، وكقول ابن سعد : (كان كثير الحديث مرجئاً ضعيفاً) ، وكقول أبي أحمد الحاكم : (ليس بالمتين عندهم) ، وكقول أبي عبد الله الحاكم : (هو ممَّن سكتوا عنه).

فهذا فضلاً عن كونه من الجرح الخفيف الذي لم يسلم منه إلَّا الطَّبقة الأولى من الثِّقات ، فهو من الجرح الغير مفسَّر الذي ينبغي رده في مقابل توثيق ابن معين ، وأحمد ، وأبي داود ، والنَّسائي ، وغيرهم.

٤.من تكلم فيه بجرح فيه مبالغة وتشدد مردود ، وهو ابن حبان حيث قال في المجروحين (٢/ ١٦١) : منكر الحديث جداً ، يقلب الأخبار ، ويروي المناكير عن المشاهير فاستحقَّ التَّرك . أهـ. وقد نبَّه الحافظ في " التَّقريب " (ص٣٦١) على إفراط ابن حبَّان بمقولة التَّرك . وإن تعجب فعجب من الألباني الذي اقتصر في ضعيفته (٢/ ٤٠٤) على قول الحافظ صدوق يخطئ ، ولم يذكر تعقُّب الحافظ على ابن حبَّان وما فعل هذا إلَّا ليوهم القرَّاء أنَّ الرَّجل متروك ، وكلام ابن حبَّان مقبول غير متعقّب ، نعوذ بالله من اتِّباع الهوى وشرّه.

وكيف يكون الرَّجل مستحقاً للتَّرك ويغيب ذلك عمّن حدث عنه ووثقه كأحمد ، وابن معين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وابن حبَّان يبالغ جداً في الجرح حتى قال عنه الذَّهبي في الميزان (١/ ٢٧٤) : ابن حبَّان ربما قصب الثّقة حتى كأنَّه لا يدري ما يخرج من رأسه . وكأنَّ مستند ابن حبَّان في المبالغة في جرحه لعبد المجيد بن أبي رواد ما رواه في " المجروحين " (٢/ ١٦١) من طريق عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، قال : " القدرية كفر ، والشيعة هلكة ، والحرورية بدعة ، وما نعلم الحق إلا في المرجئة " . قال الدَّارقطني في الأفراد : تفرَّد به عبد المجيد ، وزاد الحافظ في التهذيب (٦/ ٣٨٣) : وبقية رجاله ثقات .

قلت : ما قاله الدَّارقطني والحافظ حقّ لا مرية فيه ، ولا يعني هذا اتِّهام عبد المجيد ، فالصَّواب ، وهو الحقّ أيضاً الذي لا مرية فيه اتِّهام من دلَّسه ابن جريج ، فإنَّه كان مدلِّساً سيء التَّدليس .

قال الدَّارقطني : تجنَّب تدليس ابن جريج ، فإنَّه قبيح التَّدليس لا يدلِّس إلَّا فيما سمعه من مجروح . أهـ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل : بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريح أحاديث موضوعة ، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها . أهـ هكذا في الميزان (٢/ ٦٥٩) .

وبذا تعلم ما في جرح ابن حبَّان من النَّظر ، وتُعَصّب الجناية في هذا الإسناد فيمن دلّسه ابن جريج ، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات . والحاصل أنَّ الرَّجل كما قال معاصروه أحمد، وابن معين: ثقة، ومن تكلَّم فيه فكلامه مردود لا ينتبه إليه.

ومن أجل هذا اعتمده مسلم في صحيحه ، وأخرج له في أصوله . ولهذا قال الحافظ الذَّهبي في "من تُكلّم فيه وهو موثَّق" (ص١٢٤) : ثقة مرجئ داعية ، غمزه ابن حبَّان . أهـ.

فكلام الذهبي يصرِّح بتوثيق الرَّجل ، وأنَّ بدعته وكلام ابن حبَّان لا يؤثِّران في ثقته ، وإن كان لهما تأثير لما صرَّح بتوثيقه فتنبَّه ، والله أعلم بالصَّواب . أمَّا كونه (أي الألباني) تلاعب تلاعباً يُعاب عليه فبيانه من وجهين:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

الأَوَّلُ : قال في ضعيفته (٢/ ٤٠٥) : فلعلَّ هذا الحديث الذي رواه عبد المجيد موصولاً عن ابن مسعود أصله هذا المرسل عن بكر ، أخطأ فيه عبد المجيد فوصله عن ابن مسعود ملحقاً إيَّاه بحديثه الأوَّل . أهـ.

قلت : هذا ظنٌ ، والظَّنُّ ليس بكذب فقط ، ولكنَّه أكذب الحديث ، ويلزم من هذا الظَّن الفاسد ردّ المسند – الذي فيه راوٍ تكلّم فيه – للمرسل الذي جاء من وجه أقوىٰ ، فلا يصحُّ بذلك مرسل إلَّا بشق الأنفس ، وفيه إهدار لشطر من السُّنَّة ، ولم أجد من سبق الألباني لهذه الخرافة.

الثَّانِي : فإنَّه قد تقرَّر أنَّ الحديث المرسل يتقوَّىٰ بأمور ، منها : إذا ورد هذا المرسل من طريق آخر موصول ضعيف تقوَّىٰ المرسل به ، وصار من باب الحسن لغيره ، وبه تقوم الحجَّة ويلزم العمل به ، وإذا كان الموصول الذي فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد من قسم الضَّعيف كما ارتآه الألباني – دفعاً بالصّدر – فإنَّ المرسل الصَّحيح إذا ضمّ إليه صار من قسم الحسن المقبول الذي يجب العمل به اتِّفاقاً.

ولم أجد مبرِّراً عند الألباني يبعده عن اتِّباع القواعد الحديثيَّة هنا إلَّا التَّعنُّت ، واتِّباع الهوىٰ في ردِّ مثل هذه الأحاديث.

وأزيد هنا بخصوص هذا الحديث ردّه علىٰ نفسه واتِّباعه لما تقرَّر من قبول المرسل بالشُّروط المبسوطة في محلِّها قوله في ردِّه علىٰ الشَّيخ إسماعيل الأنصاري (كتاب الشيباني ١/ ١٣٤-١٣٥) ما نصَّه : المرسل الصَّحيح إسناده حجَّة وحده عند جمهور الفقهاء ، قال الحافظ ابن كثير : " والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما وهو يحكي عن أحمد في رواية " .

وأمَّا مذهب الشَّافعي فشرطه في الاحتجاج به معروف ، وهو أن يجيئ من وجه آخر ولو مرسلاً ... فهذا الحديث المرسل صحيح حجَّة عند المذاهب الأربعة وغيرهم من أئمَّة أصول الحديث والفقه ، وبذلك يظهر لكلِّ منصف أنَّ القول بسقوط الاستدلال بهذا الحديث لمجرَّد وروده مرسلاً هو السَّاقط . أهـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثمَّ حديث عرض الأعمال أولىٰ بالقبول من هذا المرسل الذي تقوَّىٰ بموصول ، فالموصول في الرَّد علىٰ الأنصاري ، فيه ليث بن أبي سليم حاله معروف في الضَّعف ، وموصولنا فيه عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي روّاد وقد تقدَّم توثيقه ، وأنَّه من رجال مسلم ، فيكون قد جاوز القنطرة . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص١٦١ فما بعدها).

فالحديث يدلُّ دلالة صريحة واضحة علىٰ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمُ بأعمالنا لأنَّها تُعرض عليه ، وأنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَستغفرُ الله لنا إن كانت أعمالنا قبيحة ... فدلالة الحديث علىٰ استغفار الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمؤمنين العاصين المذنبين واضحة جليَّة ، ولذلك لا غضاضة في الدُّعاء عنده ، والتَّوسُّل به إلىٰ الله تعالىٰ ، وسؤاله الاستغفار لعباد الله المذنبين...

وقد أخبرنا الله تعالىٰ في القرآن أنَّ الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهيدٌ علىٰ أُمَّته يوم القيامة ، فإن لم يعرف ما جرىٰ من أُمَّته فكيف سيشهد عليهم ؟!!! لذا فإنَّ عَرضَ الأعمال عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضروريٌ لشهادته علينا ، قال الإمام عبد الله بن المبارك : " أَنَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلاَّ يُعْرَضُ فِيهِ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتُهُ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً ، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١] . أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (٢/ ٤٢ برقم ١٦٦).

ومن المعلوم ، أنَّ عرض الأعمال ليس خاصَّاً به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل يعمُّ قرابة الإنسان ، كما ورد في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىٰ أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، قَالُوا : اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُمْ ، حَتَّىٰ تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " . أخرجه أحمد (٣/ ١٦٥ برقم ١٢٧١٣) ، الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢٩ برقم ٣٨٨٧) ، المعجم الأوسط (١/ ٥٣ برقم ١٤٨).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

قلت : وهذا تفسير ما جاء في قوله تعالى :﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، فقد قال الإمام ابن كثير في "التَّفسير" (٤/ ٢٠٩) في تفسير هذه الآية : " وَقَدْ وَرَدَ : أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعرَض عَلَى الْأَمْوَا تِ مِنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ ، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرِبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : " اللَّهُمَّ ، أَلْهِمْهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ " ، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عمَّن سَمِعَ أَنَسًا يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ ، لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " . أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٦٥ برقم ١٢٧١٣).

وقولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أكثروا الصَّلاة عليَّ في يوم الجمعة ، فإنَّه ليس يصلِّي عليَّ أحدٌ يوم الجمعة إلا عُرضت عليَّ صلاته " . أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٢١ برقم ٣٥٧٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، فَإِنَّ أَبَا رَافِعٍ هَذَا هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ) ، شعب الإيمان (٤/ ٤٣٣ برقم ٢٧٦٩) ، ابن ماجه (١/ ٥٢٤ برقم ١٦٣٧).

وجاء في رواية ابن أبي شيبة ، والطَّبراني ، وابن ماجه ، والبيهقي : " ... فقال رجل يا رسول الله : كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يعني بليت ، فقال : " إنَّ الله حرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أَجسادَ الأنبياء " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٥١٦ ، ٨٧٨٩برقم) ، الدارمي (٢/ ٩٨١ برقم ١٦١٣) ، ابن ماجه (١/ ٣٤٥ برقم ١٠٨٥) ، الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢١٦ برقم ٥٨٩) ، البيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ١٣٢ برقم ٥٢٥).

قال الإمام الشَّوكاني في " نيل الأوطار " (٣/ ٢٩٥) بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الدالَّة على تحريم أكل أجساد الأنبياء على الأرض ، قال : " وَالْأَحَادِيثُ فِيهَا مَشْرُوعِيَّة الْإِكْثَارِ مِنْ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَأَنَّهَا تُعْرَضُ عَلَيْهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ جَيِّد أَنَّهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " . انظر سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٤ برقم ١٥٣٧).

وَفِي رِوَايَة لِلطَّبَرَانِيِّ "، قُلْنَا : وَبَعْدَ وَفَاتِك ؟ قَالَ : وَبَعْدَ وَفَاتِي ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ".

وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَة مِنْ الْمُحَقِّقِينَ إِلَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللَّه – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَيّ بَعْدَ وَفَاته ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّته ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُبْلَوْنَ ، مَعَ أَنَّ مُطْلَق الْإِدْرَاك كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاع ثَابِت لِسَائِرِ الْمَوْتَىٰ ... وَوَرَدَ النَّصّ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي حَقّ الشُّهَدَاءِ أَنَّهُمْ أَحْيَاء يُرْزَقُونَ وَأَنَّ الْحَيَاة فِيهِمْ مُتَعَلِّقَة بِالْجَسَدِ فَكَيْف بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ " .

وقال السيِّد محمَّد بن علوي المالكي في " منهج السَّلف في فهم النُّصوص " (ص١٤٣) : " ويُفهم من قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عُرضت عليَّ صلاته حتىٰ يفرغ منها " أنه بمجرَّد ما يبتدئ المصلِّي بالصَّلاة يسمعها حتىٰ يفرغ منها .

ولقد أحسن السَّائل بالاستيضاح منه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال له : وبعد الموت ؟ فبيَّن له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ ذلك العرض بعد الموت لوجود صفة الحياة فيه " .

وقد أكَّد على القول بحياة الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام علماء الأمَّة ، فمن أقوالهم في ذلك:

قال الإمام تاج الدِّين السُّبكي في " طبقات الشَّافعيَّة الكبرىٰ " (٣/ ٤١١-٤١٢) : " فَإِذا ثَبت أَنَّ نَبيَّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ ، فالحيُّ لا بدَّ من أَن يكون إِمَّا عَالماً أَو جَاهِلاً ، وَلَا يجوز أَن يكون النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاهِلاً ... لِأَنَّ عندنَا رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ ، يحسُّ ، وَيعلمُ ، وَتُعرض عَلَيْهِ أَعمال الْأمَّة ، ويبلِّغ الصَّلَاة وَالسَّلَام على مَا بَينَّا " .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري " (٦/ ٤٨٨) : " ... وَقَدْ ثَبَتَ بِهِ النَّقْلُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ . قُلْتُ : وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ مِنْ حَيْثُ النَّقْلِ ، فَإِنَّهُ يُقَوِّيهِ مِنْ حَيْثُ النَّظَرِ ، كَوْنُ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الشُّهَدَاءِ " .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال الإمام السَّخاوي في " القول البديع في الصَّلاة على الحبيب الشَّفيع " (ص١٦٧) : " ونحن نؤمن ونصدِّق بأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يُرزقُ في قبره ، وأنَّ جسده الشَّريف لا تأكلهُ الأرض ، والإجماعُ على هذا " . وقال الإمام السُّيوطي في " الحاوي للفتاوي" (٢/١٧٨-١٧٩باختصار) : " حَيَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ هُوَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ مَعْلُومَةٌ عِنْدَنَا عِلْمًا قَطْعِيًّا لِمَا قَامَ عِنْدَنَا مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي ذَلِكَ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَقَدْ أَلَّفَ الْبَيْهَقِيُّ جُزْءاً فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ ... وَأخرج الزُّبير بن بكار فِي أَخْبَار الْمَدِينَة عَن سعيد بن الْمسيب ، قَالَ : لم أزل أسمع الآذان وَالْإِقَامَة فِي قبر رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّام الْحرَّة حَتَّى عَاد النَّاس " .

وقال الإمام السُّيوطي في " الحاوي للفتاوي " (٢/١٨٠-١٨٤ باختصار) : " وَقَالَ الْقَاضِي شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي فِي كِتَابِ تَوْثِيقِ عُرَى الْإِيمَانِ : قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الِاعْتِقَادِ : الْأَنْبِيَاءُ بَعْدَ مَا قُبِضُوا رُدَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كَالشُّهَدَاءِ ، وَقَدْ رَأَى نَبِيُّنَا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَأَخْبَرَ - وَخَبَرُهُ صِدْقٌ - أَنَّ صَلَاتَنَا مَعْرُوضَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ سَلَامَنَا يَبْلُغُهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ الْبَارِزِيُّ : وَقَدْ سُمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي زَمَانِنَا وَقَبْلِهِ أَنَّهُمْ رَأَوُا النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْيَقَظَةِ حَيّاً بَعْدَ وَفَاتِهِ ، قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْبَيَانِ نَبَأَ ابْنُ محمَّد بْنِ مَحْفُوظٍ الدِّمَشْقِيِّ فِي نَظِيمَتِهِ ... قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ طَاهِرٍ الْبَغْدَادِيُّ الْفَقِيهُ الْأُصُولِيُّ شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي أَجْوِبَةِ مَسَائِلِ الْجَاجِرْمِيِّينَ . قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا : أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّتِهِ ، وَيَحْزَنُ بِمَعَاصِي الْعُصَاةِ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُ تَبْلُغُهُ صَلَاةُ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ ... وَقَالَ الشيخ تقي الدِّين السُّبكي : حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ فِي الْقَبْرِ كَحَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَيَشْهَدُ لَهُ صَلَاةُ مُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَسْتَدْعِي جَسَداً حَيّاً ، وَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ كُلُّهَا صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

الِاحْتِيَاجِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَأَمَّا الْإِدْرَاكَاتُ كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاعِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ لَهُمْ وَلِسَائِرِ الْمَوْتَىٰ ... قَالَ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ الصَّاحِبِ فِي مُؤَلَّفٍ لَهُ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ : هَذَا صَرِيحٌ فِي إِثْبَاتِ الْحَيَاةِ لِمُوسَىٰ فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِالصَّلَاةِ ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يُوصَفُ بِهِ الرُّوحُ ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ الْجَسَدُ ، وَفِي تَخْصِيصِهِ بِالْقَبْرِ دَلِيلٌ عَلَىٰ هَذَا ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَوْصَافِ الرُّوحِ لَمْ يَحْتَجْ لِتَخْصِيصِهِ بِالْقَبْرِ .

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّلَاةُ تَسْتَدْعِي جَسَداً حَيّاً وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الِاحْتِيَاجِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ الَّتِي نُشَاهِدُهَا ، بَلْ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ آخر ."

قلت : وقد روىٰ الإمام الدَّارمي في سننه بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثاً ، وَلَمْ يُقَمْ ، وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ الْمَسْجِدَ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلَاةِ إِلَّا بِهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ . أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٤).

وقال الإمام السَّمهودي في "وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ " (٤/ ١٧٩) : " ولا شكَّ في حياته صلَّىٰ الله عليه وسلَّم بعد وفاته ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام أحياء في قبورهم حياة أكمل من حياة الشُّهداء التي أخبر الله تعالىٰ بها في كتابه العزيز."

وقال أيضاً في (٤/ ١٨١) : " وأما أدلَّة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدُّنيا ، مع الاستغنـــاء عن الغذاء ، ومع قوَّة النفوذ في العالم " ...

وقال الإمام حسن بن عمَّار الشرنبلالي المصري الحنفي في " مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح" (ص٢٨٣-٢٨٤) : " وممَّا هو مقرَّر عند المحقِّقين أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يُرزق ، مُمتَّع بجميع الأعمال والعبادات ، غير أنه حُجب عن أبصار القاصرين عن شريف المقامات .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولمَّا رأينا أكثر النَّاس غافلين عن أداء حقِّ زيارته ، وما يسنُّ للزائرين من الكليَّات والجزئيَّات ، أحببنا أن نذكر بعد المناسك وأدائها ما فيه نبذة من آداب تتميماً لفائدة الكتاب ، فنقول:

ينبغي لمن قصد زيارة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكثر من الصَّلاة عليه ، فإنَّه يسمعها أو تبلغ إليه ، وفضلها أشهر من أن نذكره ، فإذا عاين حيطان المدينة المنوَّرة يصلِّي علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ يقول : اللهمَّ هذا حرم نبيِّك ، ومهبط وحيك ، فامنن عليَّ بالدُّخول فيه ، واجعله وقاية لي من النَّار ، وأماناً من العذاب ، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفىٰ يوم المآب ، ويغتسل قبل الدُّخول أو بعده قبل التَّوجُّه للزِّيارة إن أمكنه ويتطيَّب ويلبس أحسن ثيابه ، تعظيماً للقدوم علىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ يدخل المدينة المنوَّرة ماشياً إن أمكنه بلا ضرورة بعد وضع ركبه واطمئنانه علىٰ حشمه وأمتعته ، متواضعاً بالسَّكينة والوقار ، ملاحظاً جلالة المكان ، قائلاً : بسم الله وعلىٰ ملَّة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾** [الإسراء : ٨٠] ، اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آل محمَّد ، إلىٰ آخره ، واغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك.

ثمَّ يدخل المسجد الشَّريف فيصلِّي تحيَّته عند منبره ركعتين ، ويقف بحيث يكون عمود المنبر الشَّريف بحذاء منكبه الأيمن ، فهو موقف النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنَّة ، كما أخبر به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : " منبري علىٰ حوضي " . أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٧ برقم ٩١٤٢) ، البخاري في الصحيح (٢/ ٦١ برقم ١١٩٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٧ برقم ٢٨٧٨) ، ابن حبَّان في الصحيح (٩/ ٦٦ برقم ٣٧٥٠) ، الآجري في الشريعة (٥/ ٢٣٥٦ برقم ١٨٣٧) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٦ برقم ٤١٤٦).

فيسجد شكراً لله تعالىٰ بأداء ركعتين غير تحيَّة المسجد شكراً لما وفقك الله تعالىٰ ومنَّ عليك بالوصول إليه ، ثمَّ تدعو بما شئت ، ثمَّ انهض متوجِّهاً إلىٰ القبر الشَّريف ، فتقف بمقدار أربعة أذرع بعيداً عن المقصورة الشَّريفة بغاية الأدب ، مستدبراً القبلة ، محاذياً لرأس النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السَّعيد إليك ، وسماعه كلامك ، وردِّه عليك سلامك ، وتأمينه على دعائك ، وتقول : السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الرَّحمة ، السَّلام عليك يا شفيع الأمَّة ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيين ، السَّلام عليك يا مزمِّل ، السَّلام عليك يا مدثِّر ، السَّلام عليك وعلى أصولك الطِّيبين وأهل بيتك الطَّاهرين الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى نبيَّاً عن قومه ، ورسولاً عن أمَّته ، أشهد أنَّك رسول الله قد بلَّغت الرِّسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمَّة ، وأوضحت الحجَّة ، وجاهدت في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأقمت الدِّين حتى أتاك اليقين ، صلَّى الله عليك وسلَّم وعلى أشرف مكان تشرف بحلول جسمك الكريم فيه ، صلاة وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين ، عدد ما كان وعدد ما يكون بعلم الله ، صلاة لا انقضاء لأمدها ، يا رسول الله ، نحن وفدك ، وزوَّار حرمك ، تشرَّفنا بالحلول بين يديك ، وقد جئناك من بلاد شاسعة ، وأمكنة بعيدة ، نقطع السَّهل والوعر ، بقصد زيارتك ، لنفوز بشفاعتك ، والنَّظر إلى مآثرك ومعاهدك ، والقيام بقضاء بعض حقك ، والاستشفاع بك إلى ربِّنا ، فإنَّ الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشَّافع المشفَّع ، الموعود بالشَّفاعة العظمى ، والمقام المحمود ، والوسيلة ، وقد قال الله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربِّك ، واسأله أن يُميتنا على سننك ، وأن يحشرنا في زمرتك ، وأن يُوردنا حوضك ، وأن يسقينا بكأسك ، غير خزايا ولا ندامى ، الشَّفـــاعة ، الشَّفاعة ، الشَّفاعة يا رسول الله – يقولها ثلاثاً **﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وقال الإمام الشَّوكاني في "نيل الأوطار" (٣/ ٢٩٥) : " وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَة مِنْ الْمُحَقِّقِينَ إلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَعَدَ وَفَاته ، وَأَنَّهُ يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّته ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُبْلَوْنَ ، مَعَ أَنَّ مُطْلَق الْإِدْرَاك كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاع ثَابِت لِسَائِرِ الْمَوْتَى . وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعاً : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِن ، وَفِي رِوَايَة : بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ " . انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار (٢/ ١٦٦ برقم ١٨٥٨) ، وانظر : تاريخ بغداد (٧/ ٥٩ ترجمة رقم ٣١٢٨).

وَلِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا : " إذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَعَرَفَهُ ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ رَدَّ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – " ، وَصَحَّ : " أَنَّهُ كَانَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَخْرُجُ إلَى الْبَقِيعِ لِزِيَارَةِ الْمَوْتَى وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ " . وَوَرَدَ النَّصّ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي حَقّ الشُّهَدَاءِ أَنَّهُمْ أَحْيَاء يُرْزَقُونَ ، وَأَنَّ الْحَيَاة فِيهِمْ مُتَعَلِّقَة بِالْجَسَدِ ، فَكَيْف بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ : " أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ " ، رَوَاهُ الْمُنْذِرِيُّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ " .

وعلى كلِّ حال فإنَّ قوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء: ٦٤] عامَّ ، يشمل الحياة والممات ، ولا يوجد ما يخصِّصه بالحياة ... ثمَّ إنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصل لجميع المؤمنين ، سواء منهم من أدرك حياته أو لم يدركها ، قال تعالى : **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْواكُمْ﴾** [محمَّد:١٩] .

وقد ذكرنا– سابقاً – أنَّ جمعاً كبيراً من المفسِّرين فهم من الآية الكريمة العموم ، وهو بلا شكٍّ يظهر صحَّة الاستدلال بالآية الكريمة على حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّه حيٌّ في قبره يستغفرُ للمستغفرين ، وهذا الفهم هو الذي فهمه جمهور الفقهاء ، حيث ذكروه الآية في كتب المناسك ، في صفة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .....فعمله دائم إلى يوم القيامة ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الدَّاعي إلى ما تعمله أُمَّته من الخير ، فجميع الأعمال الصَّادرة عن الأُمَّة راجع ثوابها إليه ، كيف لا وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ دَعَا إلَى هُدىً ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَـــةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَـــامِهِمْ شَيْئاً " . أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠ برقم ٢٦٧٤) ، أحمد في المسند (٢/ ٣٩٧ برقم ٩١٤٩) ، الدارمي (١/ ٤٤٤ برقم ٥٣٠) ، ابن ماجه (١/ ٧٥ برقم ٢٠٦) ، أبو داود (٤/ ٢٠١ برقم ٤٦٠٩) ، الترمذي (٤/ ٣٤٠ برقم ٢٦٧٤) ، ابن أبي عاصم (١/ ٥٢ برقم ١١٣) ، البزار (١٥/ ٨٥ برقم ٨٣٣٨) ، أبو عوانه في المستخرج (٣/ ٤٩٤ برقم ٥٨٢٣) ، ابن حبان (١/ ٣١٨ برقم ١١٢) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٧ برقم ٦) ، البيهقي في الاعتقاد (ص٢٣٠).

وفي هذا المعنى قال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى" (١/ ١٣٢) : "... فَإِنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً " ، وَهُوَ دَاعِي الْأُمَّةِ إلَى كُلِّ هُدًى ، فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ فِي كُلِّ مَا اتَّبَعُوهُ فِيهِ ."

وكذا يَردُّ قولَه : " واستغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر متعذَّر ... ما أوردناه من الأدلَّة على إثبات حياة الأنبياء ، وأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ويستغفر للأمَّة...

كما أنَّ أبيات العتبي مكتوبة على واجهة حجرة النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشَّريفة في العمود الذي بين شباك الحجرة النَّبويَّة ، يراها القاصي والدَّاني منذ مئات السِّنين ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على القبول ، ولم يعترض عليها أحد ، حتى جاء من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم التي كانت بسبب الفهم السَّقيم الذي ما سبقهم إليه أحد ، والتي عادت على مجموع الأمَّة بالفُرقة والتَّفرقة ، والتَّكفير ، وعظائم الأمور...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ علماء الأمَّة ذكروا في مصنَّفاتهم استحباب الدُّعاء عند قبور الصَّالحين بعامَّة ، زمن ذلك ما قاله الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان " (٥/ ١٨٧) في ترجمة الملك العادل نور الدِّين أبو القاسم محمود بن عماد الدِّين زنكي (٥٦٩هـ) : " وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولقد جرَّبت ذلك فصحَّ ، رحمه الله تعالى ."

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال الذَّهبي في " سير أعلام النُّبلاء " (١٧/٢١٥) في ترجمة ابن فورك : " قَالَ عَبْدُ الغَافِرِ فِي (سيَاق التَّارِيْخ) : الأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ قَبْرُهُ بِالحِيرَة يُسْتَسقَى بِهِ " .

وقال في (١٧/٤٢٨) في ترجمة أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ أَحْمَدَ الأَرْدَسْتَانِيُّ : " قَالَ شِيْرَوَيْه : كَانَ ثِقَةً يُحْسِنُ هَذَا الشَّأْن ، سَمِعْتُ عِدَّةً يَقُوْلُوْنَ : مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة يَزُوْرُ قَبْره وَيدعُوهُ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ . قَالَ : وَجَرَّبْتُ أَنَا ذَلِكَ " .

وقال في (١٨/١٠١) في ترجمة أَبِي الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ حُمَيْدِ بنِ عَلِيٍّ الذُّهْلِيُّ : " وَكَانَ وَرِعاً ، تَقيّاً ، مُحْتَشِماً ، يُتَبَرَّك بِقَبرِهِ ."

وقال في " تذكرة الحفَّاظ " (٣/١٢٩) في ترجمة صالح بن أحمد بن محمَّد أبو الفضل التَّميمي الهمذاني السّمسار : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال في (٤/١١١) : " قال أبو الرَّبيع بن سالم الحافظ : كان وقت وفاة أبي محمَّد بن عبيد الله قحط مضر ، فلمَّا وضع على شفير القبر توسَّلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطراً وابلاً ، وما اختلف النَّاس إلى قبره مدَّة الأسبوع إلَّا في الوحل والطِّين " .

وقال في " تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام " (٦/٧٥٩) في ترجمة صالح بن يونس أَبُو شُعَيْب الواسطي الزَّاهد : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال في (٧/٨٥٦) في ترجمة القاسم بْن محمَّد بْن محمَّد بْن عَبْدُوَيْه ، أَبُو أَحْمَد الهَمَذَانيّ الصَّيْرفيّ السّرّاج : " وكان أحد الصَّالحين يُتبرَّك بقبره ."

وقال في (٨/٧٨٣) في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشافعي الفقيه، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " .

وقال في (٩/١٠٩) في ترجمة محمَّد بْن الحَسَن بْن فُورَك ، أبو بَكْر الإصبهانيّ الفقيه المتكلِّم : " قَالَ عَبْد الغافر بْن إسماعيل : قبرهُ بالحِيرة يُسْتَسْقى بِهِ " .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
FOR QURANIC THOUGHT

وقال في (٧٦٨/١٣) : " ... وسمعنا عليّ ابن صِيلا ، وأبي شاكر السّقلاطوني ، وتجنّي ، وابن يلدرك ، ومنوجهر ، وابن شاتيل .

وكان لَهُ ابنٌ شيخٌ إذا جَلَسنا تبيَّنَ كأنَّه الأبُ ، وعَمِيَ على كبرٍ ، وبقيَ سبعين يوماً أعمى ، ثمَّ برئَ وعادَ بصرُهُ – يعني الابن – فسألنا الشيخَ عن السبب فذكر لنا : أنَّه ذهب به إلى قبر الإمام أحمد ، وأنّه دَعا وابتهلَ ، وقلتُ : يا إمام أحمد ، أسألُكَ إلّا شفعت فيه إلى ربِّك ، يا ربِّ شَفِّعه في وَلَدي ، وولدي يُؤمِّن ، ثمَّ مضينا . فلمّا كَـــانَ اللّيلُ استيقظ وقد أبصر " .

وقال الإمام ابن الجزري في " غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء " (٩٦/٢-٩٧) في ترجمة الإمام الشَّافعي : " وقبره بقرافة مصر مشهور ، والدُّعاء عنده مستجاب ، ولما زرته قلت:

زرتُ الإمام الشـــــَّافعي لأنَّ ذلك نافعـــــــي

لأنال منه شفاعـــــــة أكرم به من شـــــــافع

وقال أيضاً في" غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء" (١٦٨/١) في ترجمة إسماعيل بن محمَّد بن عبد الله التّستري : " ... شيخ القرَّاء العلَّامة الأوحد ، الأستاذ ، المقرئ ، النحوي ، الأصولي ، الشَّافعي ، برع في القراءات ، والأصول ، والعربيَّة ، وكان شيخ القراءات بالمدرسة الفاضليَّة ، مشهوراً بحسن القراءة ، وجودة الأداء ، انتفع به جماعة ، قرأ القراءات وأجادها على الشّطنوفي والصَّايغ وجماعة ، وأخذ العربيَّة عن جماعة ، وصحب القونوي ، وأخذ عنه العربيَّة والأصول وغير ذلك ، وكان والده من كبار الأولياء ، مدفون بتستر ، ينعت بالشَّيخ تاج الدِّين البناكتي ، يُزار ويتبرَّك به " .

وقال أيضاً في ترجمة الإمام الشَّاطبي غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء" (٢٣/٢) : " ... ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرَّات ـ وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبية عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة – رحمه الله ورضي عنه " .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدين ، أبو ذر سبط ابن العجمي في "كنوز الذَّهب في تاريخ حلب" (١/ ٢٧٩) في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد : " قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب" .

وقال الإمام السَّخاوي في "الضّوء اللامع لأهل القرن التَّاسع" (٥/ ١٦٤) في ترجمة عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثمَّ الْمصْرِيّ الشَّافِعِي : " ... وَيُقَال أَن الدُّعَاء عِنْد قَبره مُستجاب " .

وقال الإمام الخطيب البغدادي في " تاريخ بغداد" (١/ ٤٤٥) : " أَخْبَرَنَا إسماعيل بْن أَحْمَد الحيري ، قَالَ : أَخبرنا محمَّد بْن الحسين السّلمي ، قَالَ : سمعت أبا الْحَسَن بْن مقسم ، يقول : سمعت أبا عَلِيّ الصفَّار ، يقول : سمعت إِبْرَاهِيم الحربي ، يقول : قبر معروف التِّرياق المجرَّب.

أَخْبَرَنِي أَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بْن عُمَر البرمكي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الفضل عبيد الله بْن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن محمَّد الزهري ، قَالَ : سمعت أَبِي يقول : قبر معروف الكرخي مجرَّب لقضاء الحوائج ، ويقال : إنَّه من قرأ عنده مائة مرَّة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وسأل الله تعالىٰ ما يريد ، قضىٰ الله له حاجته .

حَدَّثَني أَبُو عَبْد الله محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِ اللَّهِ الصُّوري ، قَالَ : سمعت أبا الحسين محمَّد بْن أَحْمَد بْن جميع ، يقول : سمعت أبا عَبْد الله ابْن المحاملي ، يقول : أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرَّج الله همَّه ، وبالجانب الشَّرقي مقبرة الخيزران، فيها قبر محمَّد بْن إسحاق بْن يسار صاحب السِّيرة ، وقبر أَبِي حنيفة النعمان بْن ثابت الفقيه إمام أصحاب الرأي.

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْد الله الحسين بْن عَلِيّ بْن محمَّد الصَّيمري ، قَالَ : أَخبرنا عُمَر بْن إِبْرَاهِيمَ المقرئ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مكرم بْن أَحْمَد ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَر بْن إسحاق بْن إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن ميمون ، قَالَ : سمعت الشَّافعي ، يقول : إني لأتبرَّك بأبي حنيفة وأجيء إِلَىٰ قبره في كلّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صلَّيت ركعتين ، وجئت إِلَى قبره وسألت الله تعالىٰ الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتَّىٰ تقضىٰ " .

وفي كلامه عن معروف الكرخي ، قال الإمام ابن العماد في "شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب" (٢/ ٤٧٨) : " ... وأهل بغداد يستسقون بقبره ، ويسمُّونه ترياقاً مجرَّباً " .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التَّميمي الأحنفي الهمذاني السّمسار : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمذاني : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل محمود بن زنكي : " وروي أَنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصَّالحي : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٧/ ٥٧) ، بالترتيب.

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي في " حلية البشر في تاريخ القرن الثَّالث عشر " (١/ ٣٣) ، في ترجمة الشَّيخ إبراهيم أبو إسحق برهان الدِّين الدِّمشقي : " ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشَّيخ إبراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحيَّة دمشق ، يُزار ويتبرَّك به ، والمشهور أَنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته " .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف في " شجرة النُّور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة " (١/ ٢٨٨) ، في ترجمة الشَّيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الله الهزميري : " والدَّعاء عند قبره مُستجاب " ...

وَالحَمْدُ لِلهِ رَبّ العَالَمِيْن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخَاتِمَةُ

بعد هذا التطواف في رياض الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، وأقوال أهل العلم، نخلص إلى أهم نتائج البحث، وهي:

١- أن الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، وانتقال من دار إلى دار.

٢- الحياة البرزخية حياة حقيقية، بمعنى أنها ليست خيالية أو مثالية كما يتصورها بعض الملاحدة الذين لا يؤمنون إلا بالمشاهد المحسوس دون الغيب.

٣- أن الموتى يسمعون، ويبصرون، ويتكلمون، ويستأنسون بالحي إذا زارهم، ويصل إليهم ثواب أعمال الحي إذا ما أهداه لهم.

٤- أن الشهداء أحياء بنص القرآن العظيم، حياة برزخية غيبية لا يعلمها إلا الله تعالى، وفيها يرزقون وينعمون، ولا شك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال الشهداء، فإذا ثبت ذلك في حق الشهيد، ثبت في حق النبي من باب أولى.

٥- أن البعض سعى جاهداً لتضعيف العديد من الأحاديث الدالة والمصرحة بحياة الأنبياء، ولكن جهودهم باءت بالفشل حيث قيّض الله تعالى علماء متقنين أبانوا عن وجه الحق في هذا الأمر.

٦- أن الروح بمفارقة البدن لا تسلب قوتها وقدرتها، بل لها من القوة والتصرف ما ليس للروح المحبوسة في علائق البدن.

٧- أن الواقع شاهد على أن الأرض لا تأكل أجساد الشهداء.

والحمد لله رب العالمين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

١- القرآن الكريم.

٢- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

٣- إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، الغماري، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٤- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢مز

٥- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، ابن علان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- الصارم المنكي في الرد على السبكي، ابن عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٧- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٨- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

٩- انتفاع الأموات بإهداء التلاوات والصدقات وسائر القربات، ابن البرني، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠- البحر المحيط، أبو حيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١١- البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٢- التحرير والتنوير، ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣- التذكرة، القرطبي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ.

١٤- تفسير ابن كثير، ابن كثير، بيت الأفكار الدولية الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

١٥- تفسير الثعالبي، الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٦- تفسير الخازن ومعه تفسير البغوي، الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١٧- تفسير الرازي، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٨- تفسير الطبراني، الطبراني، دار الكتاب الثقافي، اربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١٩- تفسير الطبري، الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٠- تفسير المراغي، المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١- تفسير النسفي، النسفي، دار الفكر، بيروت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

٢٢- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١.
٢٣- تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
٢٤- توضيح البيان لوصول ثواب القرآن الغماري، مطبوع ضمن كتابه إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٢٥- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي.
٢٦- جواهر البحار في فضائل النبي المختار، يوسف النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٧- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٨- حاشية السندي على سنن النسائي، دار المعرفة الرياض، ط٤، ١٩٩٧م.
٢٩- حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠- حاشية الصاوي على الجلالين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٣١- الحاوي للفتاوي، السيوطي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
٣٢- حياة الأنبياء، البيهقي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ٢٠٠١م.
٣٣- دلائل النبوة، البيهقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
٣٤- الرد المحكم المتين، الغماري، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.
٣٥- رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة، محمود سعيد ممدوح، المكتبة الأزهرية، القاهرة.
٣٦- روح البيان، البروسوي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
٣٧- روح المعاني، الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٣٨- سنن ابن ماجه، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١.
٣٩- سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١.
٤٠- سنن الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١.
٤١- سنن الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٤٢- سنن النسائي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١.
٤٣- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

٤٤- شرح السيوطي على سنن النسائي، دار المؤيد، الرياض، ط٤، ١٩٩٧م.
٤٥- شعب الإيمان، البيهقي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٤٦- شفاء السقام، السبكي، دار المصطفى، هولندا، ط١، ٢٠٠٧م.
٤٧- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.
٤٨- صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
٤٩- صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض.
٥٠- صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، الرياض.
٥١- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٥٢- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد، تتان والكيلاني، دار البشائر، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.
٥٣- عون المعبود على سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، بيروت.
٥٤- فتاوى مهمة لعموم الأمة، ابن باز، ابن عثيمين، المكتب التعاوني للدعوة، السعودية.
٥٥- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
٥٦- فيض الباري على صحيح البخاري، محمد الكشميري، بيروت.
٥٧- القول البديع، السخاوي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٨- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، بيت الأفكار الدولية، الرياض.
٥٩- كشاف القناع، البهوتي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.
٦٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٦١- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد وولده محمد.
٦٢- المحرر الوجيز، ابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٦٣- المستدرك، الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
٦٤- مسند أحمد، بيت الأفكار الدولية، الرياض.
٦٥- المعجم الأوسط، الطبراني، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
٦٦- مغني المحتاج، الشربيني، دار الفكر، بيروت.
٦٧- المغني والشرح الكبير، ابن قدامة، دار الكتب العربي، ط١، ١٩٧٣م.
٦٨- مفاهيم يجب أن تصحح، محمد بن علوي المالكي، دائرة الأوقاف، دبي، ط٥، ١٩٩٣م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

٦٩- المفهم لما أشكل من كتاب صحيح مسلم، القرطبي، دار الكلم الطيب، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.

٧٠- منهج السلف في فهم النصوص، محمد بن علوي المالكي، ط٢.

٧١- المهند على المفند، خليل السهارنفوري، طبع مكتبة مدينة لاهور.

٧٢- الموطأ، الدار السودانية للكتب، ط١، ٢٠٠١م.

٧٣- الميكروبات وكرامات الشهداء، عبد الحميد القضاة، ٢٠٠٤م.

٧٤- نهاية المحتاج، الشافعي الصغير، دار الفكر، ط١، أخيرة، ١٩٨٤م.

٧٥- نيل الأوطار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت.

This file was downloaded from QuranicThought.com